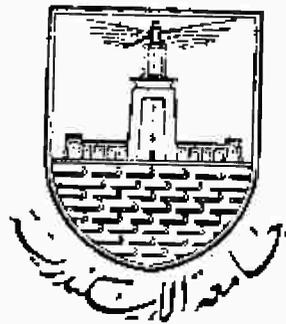


مجلة كلية الآداب



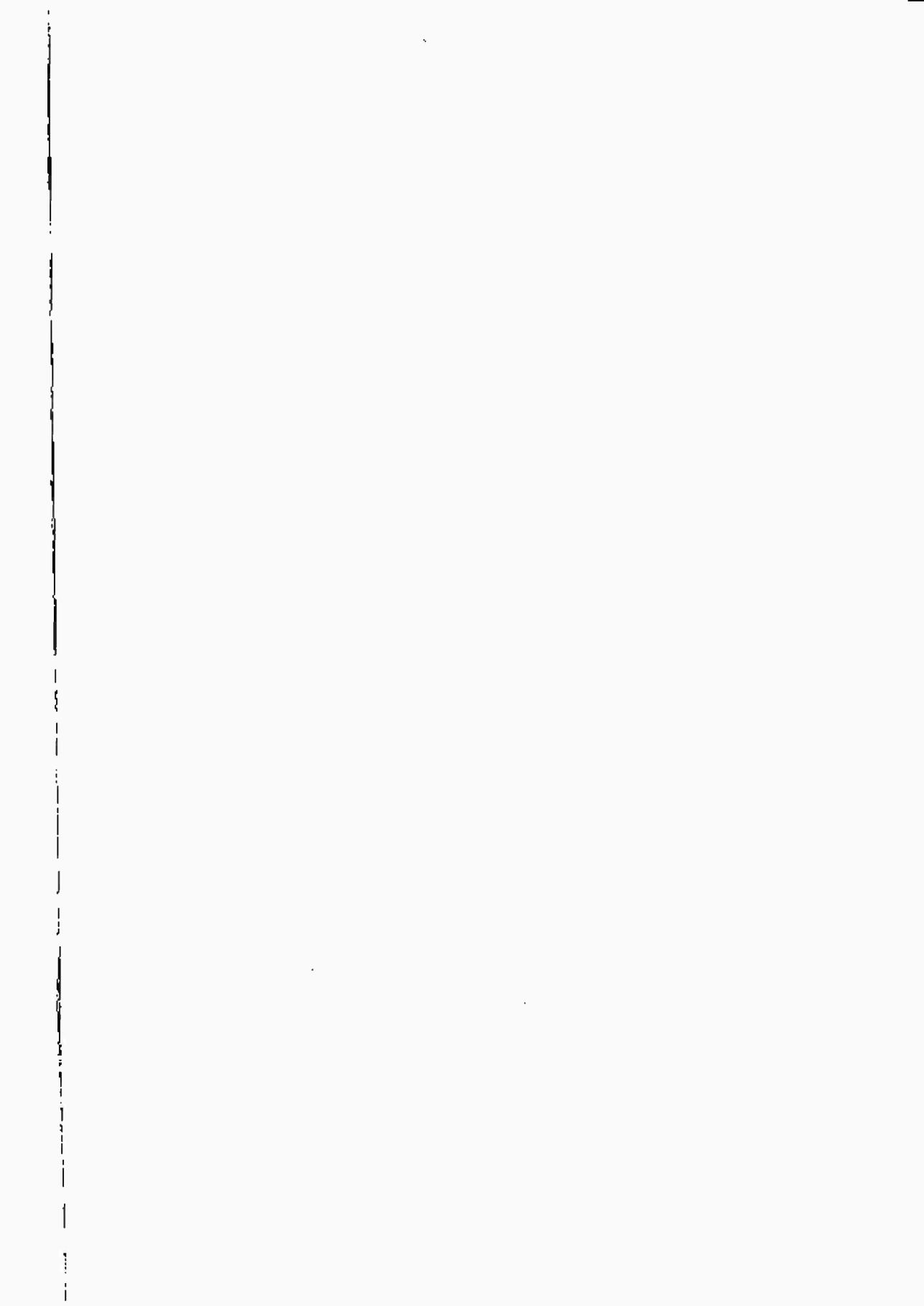
المجلد السابع عشر

١٩٦٣

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية
بالشاي ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالنساحة العلمية إلى
هيئة تحرير المجلة

مطبعة جامعة الإسكندرية

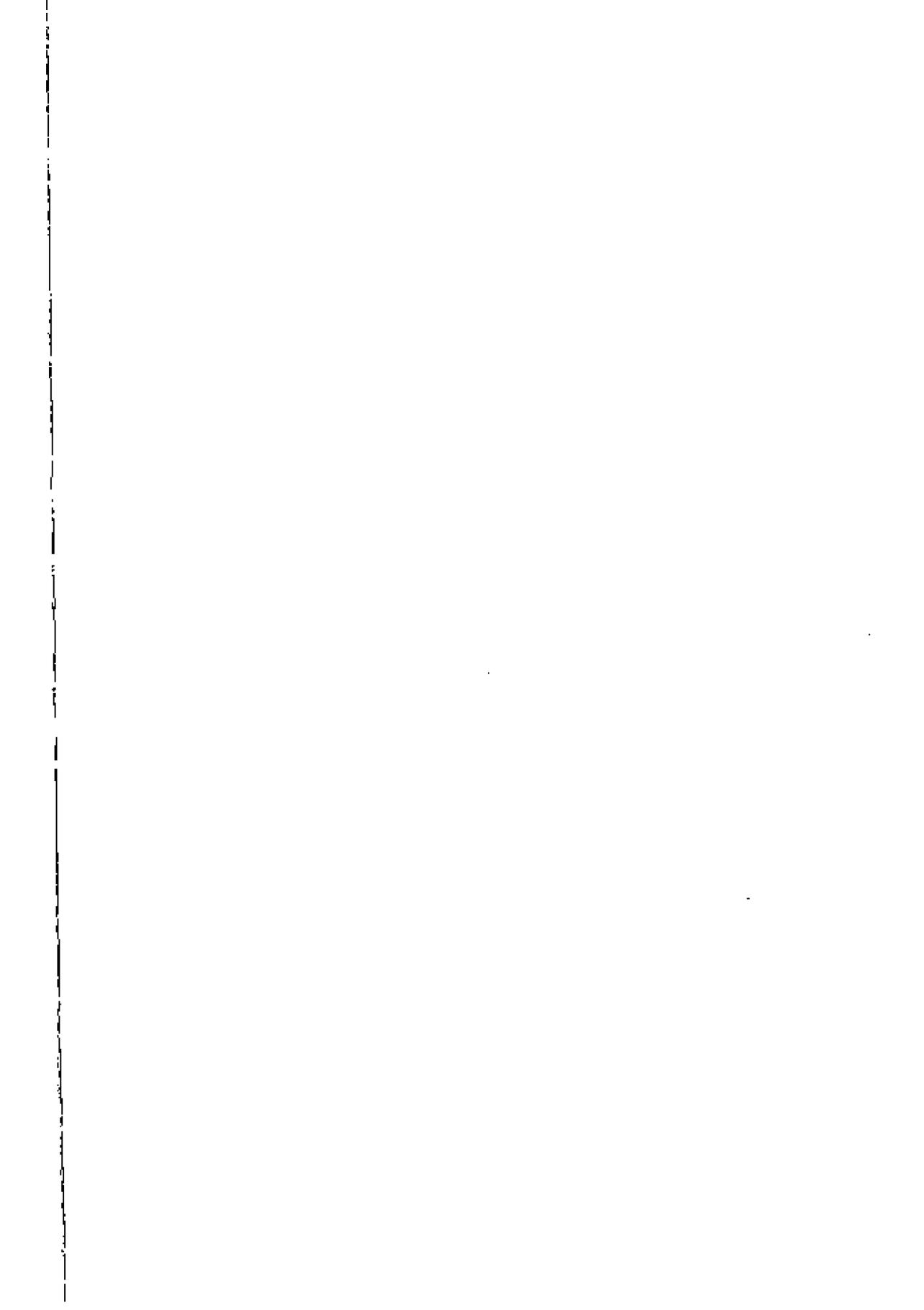
١٩٦٤



فهرس

صفحة

	الأعياد الفارسية في العالم الاسلامي
١	للكتور طه ندا
	من تاريخ العراق في العصر البويهي
٤٤	للكتور حسين أمين
	كليومينيس وسياسه المالية في مصر في عهد الاسكندر الأكبر
٦٥	للكتور مصطفى العجادي
	التخطيط العمراني في مصر القديمة
٨٧	للكتور محمد أبو الحسن حصفور



الأعياد الفارسية في العالم الاسلامي

للكنوز طه نرا

أشهر الأعياد الفارسية القديمة التي عرفها المسلمون في المجتمع الاسلامي :
النوروز والمهرجان ، السلق .

وفي سبب إتخاذ كل عيد من هذه الأعياد أساطير كثيرة . ولما كانت هذه الأعياد قد عرفت عند الإيرانيين في عهود صحيحة فقد أصبح من المتعذر على الباحث أن يهتدى إلى قول فصل في سبب احتفالهم بها ، ومتى كان ذلك ، يضاف إلى هذا أن العهود الفارسية القديمة كالعهد الپيشدادى ، والعهد الكياني عهود اسطورية .

ولكن الباحث حين يعز عليه أن يصل إلى الحقيقة في سبب إتخاذ الإيرانيين هذه الأعياد لا ينبغي له أن يهمل الأساطير لأن أساطير أى شعب من الشعوب مرآة للمجتمع الذي كان يعيش فيه ذلك الشعب ، وهي تصور عاداته وتقاليده وآماله وأمانيه ومثله العليا في الحياة . وحين نظم الفردوسى ، شاعر الفرس الأكبر ، ملحمة التاريخية الكبرى « الشاهنامه » كان يعرف ان جانباً كبيراً منها يقوم على الأسطورة . ومع ذلك قضى من عمره قرابة ثلاثين عاماً ينظم فيها تاريخ إيران بما حواه من أساطير وحقائق . وحين فرغ أهلى هذه الملحمة الى الشعب الايراني على عهده ليجلوها مفاخر الايرانيين القدماء أمام أنظار معاصريه عسى أن يكون بعث الماضى بعثاً للهمم التي تراخت ، وتجديداً للحياة التي أوشكت على النضوب .

وعلى هذا فلا بأس هنا في أن نعرض على القارىء بعض ما روى في أسباب إتخاذهم هذه الأعياد ، ومتى كان ذلك ، في بداية الحديث عن كل عيد من هذه الأعياد .

أصل النوروز :

أما النوروز (١) فتروى الشاهنامه أن مبدأ هذا العيد كان في عهد الملك جمشيد أحد ملوك الدولة البيشداوية (٢) ، فإنه لما استقرت له الأمور وهدأت في مملكته الأحوال صنع لنفسه عرشاً مرصعاً بالجواهر تحمله له الجن أينما حل أو ارتحل . وكان إذا حل في مكان أقامه على مرتفع من الأرض مواجهاً للشمس ، فإذا أشرقت عليه تلاأت جواهره وخطف يريقها الأبصار ، وعم ضياؤها الكون . وعندما ارتقى جمشيد هذا العرش لأول مرة صادف هذا اليوم الأول من شهر فروردين فاتخذه مبدأ للسنة الفارسية عندهم وسموه « نوروز » أي اليوم الجديد . واحتفلوا بتلك المناسبة ، مناسبة ارتقاء جمشيد عرشه العجيب ، احتفالا عظيماً ، وجعلوا ذلك اليوم عيداً عندهم من ذلك التاريخ (٣) .

وتروى «نوروزنامه» (٤) ، سبباً آخر فتقول إنه اتخذ عيداً على عهد افريدون (٥) ، حينما انتصر على الضحاك . وتذكر أن افريدون قسم مملكته بين أولاده فخص «نور» بمنطقة تركستان من نهر جيحون حتى الصين ، ومنح ابنه الثاني «سلم» بلاد الروم ، وجعل بلاد ايران من نصيب «ابرج» ، ومن هنا تروى «نوروزنامه» أن جميع ملوك الترك والعجم والروم

(١) يرد في المؤلفات العربية نوروز ، فيروز والأولى هي الصحيحة .

(٢) الدولة البيشداوية أولى الدول الأسطورية في تاريخ الفرس . والفتنة مكرهه من بيث ، داد أي أهل العدل ، وملوك هذه الأسرة هم جيوموث ، هوشنك ، طهمورث ، جمشيد ، ازدهاك (الضحاك) ، فريدون ، سوجهر ، نوذر ، زر ، ككشتاسب .

(٣) شاهنامه : ج ١ ص ٢٥ ط بروخيم طهران .

(٤) راجع الإشارة إلى هذه الرسالة ص من هذا البحث .

(٥) الملك السادس من ملوك العائلة البيشداوية . مدة ملكه في الشاهنامه خمسمائة سنة . وهو من ملوك العهد الأسطوري . واشتهر عند الإيرانيين بالعدل واستطاع أن يخلصهم من الضحاك وظلمه . وله ذكر كثير في الأدب والمؤلفات العربية .

من أصل واحد لأنهم جميعاً من أبناء أفريدون . ومن واجب أعتابهم أن يحتفظوا بهذا العيد الذي احتفل به جدهم أفريدون ماداموا جميعاً من نسله (١) .

ويعرف عيد النوروز هذا باسم « نوروز حميدى » نسبة إلى الملك حميد الذى اتخذ هذا العيد فى عهده حسب الرواية الأولى . ويستمر هذا العيد ستة أيام يسمى أولها «النوروز الصغير » أو «نوروز العامة» لأن الملوك كانوا يبرزون للعامة فى هذا اليوم . وكانوا يقضون حوائج الناس ويسمعون شكواهم فى الأيام الأربعة التى تليه . أما اليوم السادس والأخير من أيام الاحتفالات بهذا العيد فيسمونه النوروز الكبير أو «نوروز الخاصة» لأن الملك يجتمع فيه بخاصة أتباعه يأنس بهم ويلهو معهم (٢) ، أو يجتمع مع وزرائه ليحثهم على فعل الخير ويأمرهم بالاحسان إلى الناس وإقامة العدل بينهم (٣) .

عاداتهم فى النوروز :

ولهم فى هذا العيد رسوم وتقاليد فكان من رسم ملوكهم من أيام كيخسرو (٤) حتى أيام الملك يزديجرد (٥) ، أن أول من يمثل أمام الملك فى يوم النوروز هو الموبد موبدان (٦) ومعه كأس ذهبية امتلأت خمرأ ، وخاتم ، ودرهم ودينار خسروانى ، وسيف ، وسهم ، قوس ، ودواة ، وقلم ، وحصان ، ولعبة ، وغلام مليح . ثم يبدأ الموبد موبدان فى الدعاء للملك

(١) الخيام : نوروزنامه ص ١٠ تصحيح مجتبى مينو .

(٢) انقلشندى : صبح الأعياد ج ٢ ص ٤٠٨ ط الأميرية ١٩١٣

(٣) برهان قاطع .

(٤) من ملوك النوبة الكيانية وهى دولة أسطورية أيضاً وأن لم يخلف أمرها من حقائق. وملوك هذه الدولة : كيتباد ، كيكاموس ، كيخسرو ، طراب ، كشتاب ، بهمن ، اسفنديار هلمى ، داراب بن بهمن بن اسفنديار ، داراب بن داراب .

(٥) هو يزديجرد بن شميرد بن كسرى پرويز آخر ملوك النوبة الساسانية أعظم دول الفرس شأناً قبل الإسلام . قضى حليماً الفتح العربى .

(٦) هو كبير رجال الدين . وفى يده تركز السلطة الدينية . وله نفوذ وتأثير كبير على الملوك . والموبد هو رجل الدين عند المجوس .

أن يرفقه الله لحفظ الدين ، وأن يقيه على العرش ليفتح بلاداً جديدة ويعبي سنن الاقدمين في علو الهمة ، وفعل الخير ، ونشر العدل ، واتباع الصراط المستقيم ، وأن يظل رأسه مرفوعاً ، وشبابه ناضراً ، وفرسه مظفراً ، وسيفه في رقاب الاعداء قاطعاً ، وبازيه في الصيد غانماً ، وقصره عامراً ، وعمره طويلاً حافلاً (١) ، وإذا فرغ الموبد من مدح الملك واندعاء له أقبل بعد ذلك عظماء الدولة يقدمون ولاءهم (٢) .

ومن عادة ملوك الفرس في هذا العيد أن يتلقوا هدايا غيرهم من الملوك ويتقبلوا هدايا رعيتهم لا فرق في ذلك بين الخاصة والعامة .

وكانت هدايا ملوك الأمم إلى ملك الفرس تضم طرائف وعجائب تلك الأمم . فن الهند كانوا يهدونه الفيلة والسيوف والمسك والجلود . ومن بلاد التبت والصين كان يتلقى هدايا المسك والحريز والأواني . ومن الروم الديباج والبسط (٣) .

ومن الهدايا التي سجلت في التاريخ هدية ملك الروم إلى ملك الفرس كسرى پرويز في عيد التوروز . وكانت تلك الهدية فارساً من ذهب على شهري من فضة ، وقد صنعت عينا الشهري من جرع ايض محقق بالواد ، وجعلت ناصيته وعرفه وذنبه من شعر أسود . وفي يد هذا الفارس صولجان من ذهب وإلى جانبه ميدان من فضة توسطته كرة عقيق أحمر . ويحمل الميدان ثوران من فضة ، والشهري بيون الماء وكلما بال المحط الصولجان على الكرة فمر بها إلى أقصى الميدان فتحرك بحركاتها الثوران والميدان ، ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهري (٤) .

(١) الخيام : توروزنامه ص ١٩

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجاحظ : الحماض والاضداد ص ٢٨١ ط لبنان .

(٤) الحماض والاضداد : ص ٢٨٢ .

وكان أفراد الشعب يهدون ملكهم مما يملكون مهما يكن قدره . وجرت عادة القواد والمرازية والاصاورة أن يهدوا النشاب والاعمدة المصمتة (١) من الذهب والفضة . وجرت عادة الوزراء والكتاب والاشراف أن يهدوا جامات الذهب والفضة المرصعة بالجواهر والزاقة والعقبان والقهود . وكان الحكماء يهدون الحكمة ، والشعراء الشعر ، واصحاب الجواهر الجواهر ، واصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبغال الهماليج . هكذا كان كل فرد يهدى مما عنده ولو كان دينارا أو درهماً من ضرب سنته أو اترجة أو سفرجلة أو تفاعحة (٢) .

وكل هدية تقدم إلى الملك في هذا العيد تقيد لصاحبها في الديوان مهما يكن قدرها . وترد هذه الهدية إلى صاحبها أضعافاً مضاعفة إذا أصابه ضيق واحتاج إلى المال . وعلى كل من قدم هدية أن يأتي ديوان الملك إذا نابه نأبه ويعرض أمره على القائم بإثبات هذه الهدايا في الديوان فيقدم له الاعانة المطلوبة بأمر الملك (٣) .

وكانت نساء الملك وجواريه يتسابقن في تقديم الهدايا اليه . ومن واجب نساته إذا علمت إحداهن ميله إلى جاريه من جواريه أن تسارع فتهديها اليه في هذه المناسبة في أمج حلة وأكمل زينة . وهذا من شأنه أن يزيد قدرها عند الملك ويرفع مكانها لأنها فضلته على نفسها وقدمت له مالا تقدمه امرأة لزوجها وجادت بما لا تستطيع النساء أن تجود به (٤) .

(١) العسود من آلات القتال عند الفرس القلماويس أيضاً الجزز (صكوز) واللبوس . وينسب إلى افريديون أنه أول من صنع هذا السلاح في حربه مع الضحاك ويطلق العسود في حلقة السرج .

(٢) المحامن والانشاد : ص ٢٨٢ .

(٣) الجناح : التاج ١٤٩ ط الأميرية ١٩١٤

(٤) نفس المصدر ص ١٤٨ .

وكان من عادة ملوك العجم الا يحتفظوا في خزائهم بالكسوة من فصل إلى فصل كما يفعل عامة الناس فكانوا إذا جاء النوروز فرقوا ما عندهم من كسوة الشتاء وإذا أقبل المهرجان وزعوا ما لديهم من كسوة الصيف (١) :

وينعقد مجلس الملك في أحد أيام النوروز للنظر في شكاوى الناس ويؤذن للشعب في شهود هذا المجلس . ولايجزؤ أحد من أتباع الملك أو رجال حاشيته أن يمنع فردا من الشعب من حضور هذا المجلس . ومن فعل ذلك فقد أثم إثمًا عظيمًا . ولكي يطمئن الملك إلى أنه لم يبق في البلاد شك ولامتظلم كان يعلن للناس جميعاً عن موعد انعقاد هذا المجلس قبله بأيام لتتاح لهم الفرصة لإعداد شكاواهم .

وإذا انعقد المجلس بنذية يفحص الشكاوى الموجهة ضد الملك نفسه : وعند ذاك ينهض الملك من مجلسه ويتقدم مع خصمه حتى يقفا أمام الموبد الكبير الذي يستمع إلى الشكاوى ويفحصها بدقة ويحكم فيها بالعدل . أما إذا ظهر بطلان الشكاوى فالويل للشاكي لأنه أراد أن يسبى إلى الملك ويظمن في المملكة (٢) ، وإذا فرغ الملك من مطاله في نفسه انتقل إلى مجلسه فوق العرش وأخذ ينظر في بقية المظالم التي تقدم إليه من الشعب . وكان الملك في سبيل رد المظالم لايجامل أحداً من خاصته أو كبار رجال دولته حتى لايطمع طامع منهم في ظلم الناس أو الاستبداد بهم خصوصاً وقد بدأ بنفسه وضرب لهم المثل . وظلت الحال على هذا المنوال فيما يتعلق برد المظالم ودفع الأذى عن الناس من عهد أرشير بن بابك (٣) ، إلى أن تولى الملك بيزدجرد الأثيم (٤) ، الذي أهمل هذه السنة الحميدة

(١) الجاسط : التاج ص ١٥٠

(٢) التاج ص ١٦١

(٣) اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية (٢٢٦ - ٢٤١ م) .

(٤) هو بيزدجرد بن سابور بن سابور ذي الأكتاف وهو الملك الثالث عشر من ملوك

الأسرة الساسانية ويعرف بيزدجرد الأثيم لظلمه وكثرة آثامه (٢٩٩ - ٤٢٠ م) .

وطفي في الأرض وتجبر وعز عليه أن تنتصف الرعية من الراعي ، وأن تنظم السوق من الملوك ، وأن يتساوى الوضع والرفيع (١) .

وكان الملك إذا زار عظما من عظماء مملكته في بيته عدت هذه الزيارة حدثاً تاريخياً ، وأضفت على المزور شرفاً رفيعاً يؤدي إلى جملة من المزايا والمنافع فلا يجس أحد من أهله أو أتباعه لأمر ارتكبه أو جناية جناها ، ولا يطالب بما عليه من خراج أرضه إذا لم يتقدم هو بدفعه ، وتعرض هداياه على الملك يوم عيد النوروز والمهرجان قبل غيرها من الهدايا (٢) .

وكانوا قبل النوروز يبتون في صحن دار الملك اثنتي عشرة أسطوانة من لبن تزرع أنواعاً مختلفة من البقول أو الحبوب كالبر والشعير والعدس والذرة ، فإذا واني عيد النوروز حصدوها في اليوم السادس منه وهم يغنون وينشدون . وكانوا يزرعون هذه الحبوب تفاضلاً بها . وكانوا أشد تفاضلاً بالشعير (٣) .

والخروج إلى البساتين والحدائق أمر شائع عند الملوك والشعب في هذا العيد فكان كسرى پرويز مثلاً (٤) ، يخرج إلى بساتنه كل نوروز ليقضي هناك أسبوعين في قصف وطو . وفي هذا البستان اكتشف پرويز مغنيه المشهور في تاريخ الغناء والموسيقى الإيرانية «باربد» على نحو ماترويه الشاهنامه (٥) .

وكان وجوه الناس يدعون إلى الموائد الملكية التي تقام في عيد النوروز أو غيره ويدخلون الايوان على طبقاتهم ثم يتخذ كل منهم مكانه على المائدة

(١) التاج : ص ١٦٢

(٢) نفس المصدر : ص ١٥٨

(٣) يضاف الغرس بالشعير لبركه وسنانه وفي سبب تفاضلهم بالشعير أنظر القصة ٣٣ من نوروز نامه

(٤) من ملوك القزوين الساسانية المشهورين (٥٩٠ - ٦٢٨) ويكتب في المصادر العربية برويز وكسرى أبرويز .

(٥) شاهنامه : ج ٩ : ص ٢٨٨٢ داستان باربد واشكر .

حسب درجته . ويقف الخدم من ورائهم لخدمتهم . ويتصلر الملك الايوان بحيث يرى جميع المدعويين . وإذا انتهوا من طعامهم داروا عليهم بأقداح الشراب من فضة أو ذهب . وكانت الاقداح الذهبية تقدم للطبقة العليا ولبن دونهم تقدم أقداح الفضة . وكانت هذه الاقداح والكنوس من الروعة بحيث أغرت بعض المدعويين على سرقتها في الليلة التي أقامها أنوشيروان (١) .

وكان للغناء دوره الأساسي في احتفالات الملوك هذه الأعياد . وتناولت الاغاني موضوعات شتى كان أهمها بطبيعة الحال مدح الملك ، والترنم ببطوته واثرائه بنعمته ، فاذا فرغ هذا الجزء المهم من موضوعات الأغنية انتقلت بعد ذلك إلى موضوعات أخرى كوصف الطبيعة والتغني بجمالها . وكان أبرز المغنين في العهد الساماني «باريد» (٢) ، وكان لبريد هذا في كل يوم شعر جديد ولحن جديد (٣) وتال بربد مكانة كبيرة في بلاط كسرى پرويز وأصبح من أعظم رجال القصر شأناً . وكان رجال الحاشية إذا خافوا أن يبلغوا الملك خبراً من الأخبار المزعجة توسلوا إلى باريد ليقوم

(١) إنتاج : ص ١٠١

(٢) ويقال له في المصادر العربية باريد ، بريد ، بلب ، بلب ، قهريد ، قهريد ، نهلب ، فلبك ، وكان آية زمانه في الشناء والموسيقى . كما كان يقول الشعر أيضاً ينظمه ويملحنه ويفنيه وغلبت عليه صناعة الشناء والموسيقى وكان أستاذة الموسيقى يتخلون آراءه في هذا الفن حجة ، ويعترفون من فيض ألحانه . وكان له في كل يوم من أيام الأسبوع لحن . وقد جمعت هذه الألحان السبعة وعرفت في كتب الموسيقى والمؤلفات الاسلامية بالطرق الملوكية . وكذلك جعل لكل يوم من أيام الشهر لحن . وقد عرفت هذه الألحان بألحان بريد الثلاثين ، وأشارت إليها المؤلفات الاسلامية في الموسيقى أو التاريخ أو الأدب . وقد جمعها نظامي الشاعر الفارسي المشهور في منظومه «غسر وشيرين» . ولم يكتب بريد هذا إذ لحن لكل يوم من أيام السنة لحناً ومن ألحانه المروفة خلق الله «يزدان آمريد» ، انتقام ايرج «كين ايرج» ، حديقة شيرين «باغ شيرين» ، النوروز الكبير «نوروز بزوك» وحديقة السرو «سروستان» والبله السعيدة «شب فرخ» واليوم السيد «فرخ روز» .. الخ . وإلى بريد هذا يشير البحري في تصديقه التي مطلعها «صنت نفسي عما يدنس نفسي» بقوله : وتوهمت أن كسرى پرويز عطاي والبله أنسى .

(٣) المحاسن والاضداد : ص ٢٧٨

عنهم بهذه المهمة الضخمة . وكانت طريقة باربد في مثل هذه الأحوال أن ينظم أغنية جديدة يضمها هذا الخبر ثم يلحنها ويغنيها أمام الملك . وكان الملك يفهم المقصود ولكنه لا يغضب أو يحزن لأن جمال الصوت وحلاوة اللحن كانا يسيطران عليه فلا يدعان للغضب أو الحزن سيلا إلى نفسه .

ويذكر المؤرخون أنه في سنة ٥١٦ هـ (١٣٧) م وقعت المداين التي كانت مقر الملوك الساسانيين في يد العرب . وكان من بين ماغمه العرب مما وجدوه في قصور الاكاسرة بساط نفيس جداً تسج أصلا لخمسرو پرويز . يسميه العرب القطيف أو بساط الشتاء لأنهم عثروا عليه وقت الشتاء بينما يسميه الايرانيون « بهار كسرى » أي ربيع كسرى . وانما سموه كذلك لأن نقوشه كانت تمثل الربيع بكل ما فيه من ورود وأشجار وأنهار . وكان هذا البساط لوحة فنية تحاكي الطبيعة وقت النوروز وما فيها من ضروب الحسن والجمال أصدق محاكاة .

وقد صنع كل ما فيه من صور الأنهار والأزهار والأشجار وفق ألوانها الطبيعية بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة وكان كسرى برويز ومن بعده من الاكاسرة يفرشون هذا البساط في احتفالاتهم التي تقام زمن الشتاء ليتصوروا أنهم في إحدى الرياض الغناء إبان النوروز . وقد تحير العرب فيما يفعلونه بهذا البساط وأمر عمر أن يقسم على المهاجرين والأنصار على السواء ويخص عليا رضي الله عنه قطعة صغيرة منه في مثل حجم الكف باعها بعشرين الف درهم .

وكان الملك إذا ارتقى العرش في أي يوم من أيام السنة قبل ٢١ مارس الذي يوافق يوم النوروز اعتبر هذا اليوم الأخير بداية السنة الثانية من حكمه ، فاذا فرضنا أنه تولى الملك في اليوم الأول من يناير فان ٢١ مارس الذي يتلوه يعتبر عندهم أول السنة الثانية من حكمه وقد حدث مثلا أن

الملك الساساني يزيدجرد (١) ، ارتقى العرش في يوم ١٦ يونيو سنة ٦٣٢ م
ولما جاء يوم ٢١ مارس التالي سنة ٦٣٣ م اعتبر هذا اليوم بداية السنة الثانية
من سنوات حكمه (٢) .

ولليوم السادس من النوروز (النوروز الكبير) منزلة عند الفرس .
ففيه ، على حسب اعتقادهم ، توزع الحظوظ على الناس . ولهذا يكثر
فيه من الابتهاج إلى الله والدعاء ولذا سمي هذا اليوم عندهم يوم الرجاء .
ومما كانوا يقيمون به في هذا اليوم أن يذوق المرء في صباحه السكر قبل
الكلام ، وأن يتدهن بالزيت حتى يدفع عن نفسه ما قد يصيبه في سنته
من البلاء (٣) .

والتهادي بالسكر عادة من عاداتهم في النوروز . ويقال في سبب
هذا أنهم اكتشفوا السكر في إيران يوم نوروز على عهد الملك جمشيد
الذي رأى هذا القصب أول مرة خلال أيام النوروز ولاحظ ما يحتويه
من عصير حلو ، فأمر أن يستخرجوا من القصب هذا العصير ويتخللوا
منه السكر . ومن أجل هذا يتهادى الناس السكر في هذا العيد ويتبركون به .

ومن عادة الناس في هذا العيد على ما يروى البيروني (٤) ، أن يقصدوا
الحياض والأنهار فيرش بعضهم بعضاً بالماء تطهراً مما علق بأجسامهم من الأدران
في العام المتقضى وتنظيفاً لأبدانهم من دخان النيران التي أوقدوها في ليلته . وترجع
عادة التراش بالماء عندهم إلى أيام الملك فيروز بن يزيدجرد بن بهرام جور (٥) ،
ففي أيامه شح المطر وجف الزرع وأجدبت الأرض وعمت المجاعة .
وطال الأمر بالناس على هذه الحال من الجذب والجوع سبع سنين فخرجوا

(١) هويزدجرد بن شهريار بن كسرى برويز آخر ملوك الدولة الساسانية .

(٢) Karaka : History of the Parsis p. 106 vol. 1

(٣) البيروني : الآثار الباقية : ص ٢١٧

(٤) البيروني : الآثار الباقية : ص ٢١٨

(٥) من ملوك الدولة الساسانية : (٤٥٩ - ٤٨٢) .

إلى الصحراء يبتلون إلى الله ويضرعون إليه أن يعيئهم فلما دخل النوروز من السنة الثامنة تقبل الله دعاءهم وفتح عليهم أبواب السماء بماء منير فكانوا لفرحتهم بالمياه يصونها على رؤوسهم ويتراشون بها . وبقيت هذه العادة عند الفرس بمحبتها من ذلك الوقت كل عام (١) .

وعيد النوروز من أهم أعياد الزردشت ، يحتفلون به احتفالا عظيما ايها كانوا . ويسميه الزردشتيون المقيمون بالهند في الوقت الحاضر Pateti وهو يوم أهورامزدا من شهر فروردين (٢) .

وهذه اللفظة مأخوذة من الكلمة الافستية (٣) Patita ومعناها يوم التوبة . وعلى هذا ففي هذا اليوم يصلى المرء ليغفر الله له ما اقترف من ذنوب طيلة العام المنقضى . وفي هذا اليوم يصحو الزردشتي مبكرا عن عادته كل يوم فيقتل ويتطهر وكثيراً ما يشترك في الحفلات التي تقام للتطهر ويسمونها «هان» ويرتدى ملابس الجديدة ويؤدي الصلوات ملتسماً بالرحمة من أهورامزدا له ولأهله . وهو يد أصلاته بتمجيد الله ثم يلتبس منه المغفرة لذنوبه التي اقترفها في العام الماضي ، ثم يذهب إلى معبد النار مهديا إليه خشب الصندل . وهناك يعود إلى الصلاة ليستعيد حب الإله ورحمته . وإذا انتهت صلواته وزع الصدقات على الفقراء من رجال الدين والمحتاجين من الناس . ويقضى بقية اليوم بعد ذلك في مرح وسرور

(١) شاهنامه : ص ٢٢٦٨ - ٦٩ ج ٨ ط بروخيم تهران .

(٢) لكل يوم من أيام الشهر اسم خاص عند الفرس . فاليوم الأول من الشهر يسمى أهورامزدا والأيام التي بعده تسمى بأسماء أتباعه وكذا اليوم السادس عشر يسمى باسم مهر والأيام التي بعده تسمى بأسماء أتباعه . ولكل يوم من هذه الأيام أعمال يستحب أدائها . ولم يكن الفرس قديماً يعرفون تقسيم الشهر إلى أسابيع . ولهذا جعلوا لكل يوم اسماً خاصاً . وصل هذا فيوم أهورامزدا من شهر فروردين هو اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الفارسية وهو يوم عيد النوروز .

(٣) الأفستية طيبة لإبانة من إيلات إيران . كانت تكتب بها المثنون المقدمة لكتاب الزردشتيين الذي الأستا ومن هنا جاءت نسبتها . واستمرت كتابة النصوص الدينية بها في مصر الأستكانيين والساسانيين .

مع بقية أفراد الأسرة . وفي هذا اليوم يتزاور الناس ويتبادلون التهاني بالسنة الجديدة (١) .

وعادة لإيقاد النار من العادات التي يهتم بها الإيرانيون ليلة النوروز ، فالنار عند الإيراني القديم من العناصر الموقرة (٢) ، وهي عنده تمثل النقاء والصفاء كما أن إيقاد النيران يبدد ، في عرفهم ، ما في الجو من وخم الشتاء .

النوروز في اليهود الإسلامية :

لما جاء الإسلام تغير الموقف في صدر الإسلام بالنسبة للنوروز ولغيره من الأعياد الفارسية .

ولاشك في أن الدولة الإسلامية على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين كانت ترى أن الاحتفال بمثل هذه الأعياد يفتح مجالاً تنفذ منه العادات والتقاليد المحوسية القديمة وشبهه الفرصة أمام النزعات الوثنية للانتشار في المجتمع الإسلامي الجديد ولهذا لم يكن هذه الأعياد أي ذكر في العهد الإسلامي الأول .

وعندما قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وجدهم لا يزالون - كما كانوا في الجاهلية - يحتفلون بيومين من أيام السنة تذكر بعض المصادر أنهما كانا يوم النوروز ويوم المهرجان (٣) ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحتفال بهما ودعاهم إلى الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى لأنه تحشى أن يكون في الاحتفال هذين العيدين الفارسيين إحياء وترويج لشعائر الجاهلية . ورمى من وراء دعوتهم إلى الاحتفال

(١) Karaka : History of the Parsis p. 144 vol . 1

(٢) تعتبر الزردشتية ، دين الإيرانيين الفسفاء ، الله مصدر الخلال والاشراق والضياء . والزردشتيون يتخفون من النار رمزاً لالله لما فيها من الاشراق وانضياء ، ثم هي إلى جانب هذا طاهرة غير قابلة للفساد ومفيدة للإنسان وبلجج ما في الكون من الكائنات . ومن هنا وقرها الإيرانيون الزردشتيون .

(٣) الألويسي : بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٦٤

بالعيدين الاسلاميين ، النظر والأضحى إلى التنويه بشعائر الدين الجديد ،
 ولجعل من هذه الاحتفالات الاسلامية فرصة للذكر الله وعبادته وإظهار
 الطاعة له ، وليجمع لهم كذلك إلى متعة الاحتفال الدنيوية بمتعة العظة
 الروحية . ففي عيد الفطر يفرح المسلمون بما قدموه خلال شهر الصوم
 من ألوان الطاعة والعبادة ويحتفلون بانتهاء الصوم واستقبال الفطر احتفالا
 يجمع بين متعة الروح ومتعة البدن . وفي عيد الأضحى يمثل المسلمون
 أيضا معاني الطاعة لله سبحانه ، والخضوع لمشيئته ، كما يحتفلون أيضا
 بمتعة رضاء الله على من أطاعه من عباده حين يذكرون قصة ابراهيم عليه
 السلام يوم هم بذبح ولده اسماعيل وكيف أنعم الله عليهما بأن فداه بذبح
 عظيم . وإلى جانب هذه المعاني الدينية السامية التي يمثلها المسلمون في
 احتفالهم بعيد الاضحى ينعمون أيضا بما في العيد من متع دنيوية . وهكذا
 نرى أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يشأ أن تمضى احتفالاتهم في
 ظل دينهم الجديد دون أن يجمع العظة الدينية إلى جانب البهجة الدنيوية ،
 وأراد أن يتخذوا من أيام بهجتهم ومرحهم فرصة للافادة من دينهم
 وتمكين أمره بينهم حتى لا ينفصل دينهم عن دنياهم وليذكروا دينهم
 عندما يحتفلون بشئون دنياهم وليذكروا دنياهم عندما يقبلون على أمور دينهم .

ومر عهد صدر الاسلام ولم يكن لهذا العيد ولا لغيره من أعياد الفرس
 القديمة شأن عند العرب في المجتمع الاسلامي . وعندما احتفل بعض الدهاقين
 في خلافة علي بن أبي طالب بهذا العيد وقدموا اليه هدية مما صنعوه من
 الحلوى لم يكن رضى الله عنه يعرف شيئا عن مناسبة هذه الهدية فلما سأل
 قيل له إنه يوم نوروز . فقال مازحا متفكها نوروزنا كل يوم (١) .

وفي عهد الدولة الأموية بدأ الخليفة معاوية يهتم بهذا العيد لبعض
 العوامل الاقتصادية المرتبطة به . فقد مر بنا أنه كان من عادة الفرس القدماء

(١) القاموس المحيط : مادة نور

أن يقدموا الهدايا إلى ملوكهم في هذه المناسبة (١) وكانت هذه الهدايا تمثل جانباً مهماً من مصادر دخل الملوك . ويظهر أن معاوية أراد أن يفيد من هذا العيد كما كان يفيد منه ملوك الفرس القدماء . وتروى المصادر التاريخية أن ما كان يحمل إليه من هدايا النوروز والمهرجان يبلغ عشرة آلاف درهم (٢) .

أما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد رفض أن يقبل من المسلمين هذه الهدايا وكان يكفي في خراج النوروز بجمع الخراج وحده ويرفض ما عدا ذلك من الهدايا . ولا شك في أنه كره أن ينال من مال المسلمين شيئاً قد يكرهون على أدائه أو يخرجون بسببه .

إلا أن الخلفاء قد عادوا فقبلوا هذه الهدايا . وكانت هدية حسان النبطي إلى هشام بن عبد الملك من الكثرة والضخامة حتى أن هشام نفسه استكرها لنفسه وأمر أن تضم لبيت المال . وكان حسان قد أهدى إلى هشام وإلى أمهات أولاده هدايا كثيرة من الكساء والجواهر والعطر . وقد ذكر الجاحظ أن هذه الهدية لم يسمع بمثها في الإسلام (٣) .

وفي عهد الدولة العباسية زاد اهتمام الدولة والشعب بهذه الاحتفالات . ولم يكن الاحتفال به قاصراً على الخلفاء وحدهم بل إن الناس أيضاً تسابقوا إلى الاحتفال به ، وأحبوا فيه ما كان معروفاً عند الفرس القدماء من عادات كعادة إيقاد النيران وعادة التهادي .

فكان الخليفة العباسي مثلاً يتبادل الهدايا مع الشعب في عيد النوروز . وكان يفرق عليهم هدايا مختلفة من صور مصنوعة من عنبر أو ورد أحر أو غير ذلك من الهدايا (٤) .

(١) راجع ص ٤ من هذا البحث .

(٢) اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٥٩

(٣) الخناسن والاضداد ص ٢٨٣

(٤) آدم متر : الحضارة الإسلامية : ص ٢١٤ ج ٢ الترجمة العربية .

وكان الخليفة المتوكل يخرج في احتفاله بالنوروز عن الحد الذي ينبغي لخليفة مثله أن يلزمه . فقد روى أنه كان يدعو إليه في هذا اليوم أصحاب السماجات ويدنهم من مجلسه ولا يتوقر معهم . وفي يوم نوروز دخل عليه إسحق فرآهم وقد جذبوا رداءه فعاد غاضباً ، ولاحظ المتوكل ذلك فأمر بامتدعائه وسأله في ذلك فقال له : « أتجلس في مجلس يتلك فيه هؤلاء الكلاب حتى يجذبوا ذيلك ، وكل واحد منهم متنكر بصورة منكرة فما يؤمن أن يكون فيهم عدو فيثبت بك . فقي كان يستقال هذا ولو أخلت الأرض منهم » فقال المتوكل : « ياأبا الحسين والله لا تراني على مثلها أبداً » (١) .

وبذكر الطبري في حوادث سنة ٢٨٤ أن الخليفة المعتضد كان قد منع الناس في أول الأمر من إيقاد النيران ليلة النوروز ، ومن صب الماء في يومه ، وكلف المنادين ليعلنوا ذلك في الأسواق ثم عاد ورجع عن رأيه وأطلق الحرية للناس في صب الماء وإيقاد النيران ففعلت العامة من ذلك ماجاوز الحد وخرج على المألوف .

ولم يكن الاحتفال بعيد النوروز قاصراً على بغداد عاصمة العالم الاسلامي وحدها وإنما امتد إلى كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي . ففي بخارى مثلاً كان السامانيون (٢) يحيون هذا العيد بما عرفوه عن أسلافهم أفرس .

وفي سنة ٣٢٣ هـ احتفل مرداويج (٣) احتفالاً عظيماً بهذا العيد فأوقد

(١) آدم متر : الحضارة الاسلامية ص ٢١٤ ج ٢

(٢) الدولة السامانية وهي من الدول الاسلامية الفارسية الاصل التي حكمت في المشرق وكانت حاصتها بخارى . (٢٦١ - ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٩٩ م) .

(٣) مرداويج بن زيار مؤسس الدولة الزيارية في طبرستان وخراسان . استولى أيضاً على اصفهان وهدان . وكانت آماله كبيرة في إسباه مجد الفرس وتحطيم الخلافة العباسية . وعندما ثار النزاع بينه وبين البريجيين رأى أن يتخلص منهم أولاً ثم توجه بعد ذلك إلى بغداد للاستيلاء عليها . ولكنه قتل في اصفهان سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م وهو يستعد لملاقاة آل بويه . استمرت دولته من ٣١٦ - ٤٣٤ هـ / ٩٢٨ - ١٠٤٢ م .

النيران ليلة النوروز على قم الجبال وأطلق الطيور في الجو وقد علق بأرجلها النفط وكان النفط يشتعل وهي تطير . وامتلأت السماء ليلتها بالنار المتطايرة في كل مكان حتى يبدد ضوء النيران ظلمة الليل . وفي يوم النوروز أقام وليمة ضخمة في الصحراء . ويذكر ابن الأثير أن من جملة ما قدم في تلك الوليمة مائتين من البقر مشوية صحاحا . وأما الغنم فبلغ ماشوي منها ثلاثة آلاف رأس . هذا عدا المطبوخ . وقد زاد عدد الدجاج وغيره من أنواع الطير التي قدمت في تلك الوليمة على عشرة آلاف . أما ألوان الحلوى فقد تجاوزت الحد والحصر (١) .

وكان عبد الله بن طاهر (٢) ، يوزع ثيابه على الناس في عيدي النوروز والمهرجان أسوة بما كان يفعله ملوك الفرس القدماء (٣) .

ويقدم لنا المافروخي الأصفهاني من علماء القرن الخامس للهجرة (٤) وصفا لعيد النوروز في مدينة جي من نواحي أصفهان ، فيذكر أن أهالي أصفهان كانوا يخرجون كل سنة في وقت النوروز إلى سوق تلك المدينة التي تسمى سوق جرين للتجارة والمهوى واللعب لا فرق في ذلك بين كبيرهم وصغيرهم حتى كانت تخص مجموعهم المدينة . وكان فناخسرو عضد الدولة (٥) ،

(١) ابن الأثير : حوادث سنة ٣٢٣

(٢) عبد الله بن طاهر ذي اليمين قائد المأمون المشهور . من أصل فارسى ولاء المأمون على خراسان في ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م واستطاع بعد ذلك أن يستقل بحكم خراسان ويؤسس الدولة الطاهرية التي حكمت من ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م - ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م .

(٣) الشاج : ص ١٥٠

(٤) هو مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الاصفهاني ينتهي نسبه إلى مافروخ بن مجتهد بن عبد الله وكان من الموال العجم . ومافروخ مركبة من ماء فرخ أي القمر المبارك . ألف المافروخي كتابه عن أصفهان بين سنوات خمس وستين وخمس وثمانين وأربعمائة . وهو من معاصري الب أرسلان ومنكشاه من سلاطين السلاجقة . وقد تروى الكتاب إلى الفارسية محمد بن عبد الرضا الحسيني العلوي في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة بأمر الوزير غياث الدين محمد بن الوزير رشيد الدين فضل الله مؤلف كتاب جامع التواريخ .

(٥) من أمراء البويهيين في فارس ٣٣٨ - ٣٧٢ / ٩٤٩م - ٩٨٢ م .

يعجب في صفره بتلك السوق وما يجري فيها من الوان اللهب والمرح . فلما تولى الملك واستولى على فارس أمر أن يتخلوا خازج شيراز سوقا حل نمط سوق جرين عرفت باسم سوق الأمير . وقد جذبت هذه السوق أهل شيراز وما حولها من البلدان واجتمع فيها خلق كثير من أهل اللهب والمجون . وكان الناس يقدون اليها للبيع واللهب . وكان الأمير لرغبته في الاستمتاع بما يجري في تلك السوق قد اتخذ لنفسه قصرا يشرف عليها فكان يجلس في قصره مع ندمائه يشربون ويطربون ويستمتعون بما يشاهدونه من أحوال الناس في تلك السوق (١) .

أما البيهقي (٢) ، فيقدم لنا صورة أخرى من الاحتفالات التي كانت تقام في العالم الاسلامي احتفالا بيوم النوروز عام ٤٣١ هـ ، فيقول عن السلطان مسعود الغزنوي (٣) ، انه في يوم الخميس الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة احتفل بعيد النوروز . وكان الناس قد قدموا اليه كثيرا من الهدايا . واحضى السلطان بهذا العيد احتفالا عظيما ، وتقدم اليه الشعراء بقصائد المديح . وكانت السعادة تبدو على مجاهذ إذ مر عليه الشتاء هادئا لم تقع فيه حوادث تشغل قلبه . وأمر للمطربين وللناس بالصلوات . وانتهز

(١) محاسن أمفيهان : ص ٩٢ ط طهران .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي . ولد في سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م في قرية حارث آباد من نواحي بيهق ، قضى صدر حياته في تحصيل العلم بمدينة نيسابور ثم اتجه إلى بلاط السلطان محمود الغزنوي حيث اشتغل بالكتابة في ديوان الرسائل . وكتابه في التاريخ معروف باسم تاريخ بيهقي ويتحدث فيها أساسا عن سلطنة السلطان مسعود الغزنوي ، وعلاها يقال للكتاب أيضا تاريخ مسعودي . ومات في سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م .

(٣) السلطان مسعود الغزنوي بن السلطان محمود الغزنوي وخليفته . كان من الملوك الأكفاه والمقاتلين الشجعان الا أنه انهزم أمام طغرل زعيم السلاجقة في الموقعة التي دارت بينهما في دندانقان بين مرو وسرخس سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م ، وكان من أثر هذه الهزيمة التي أصابت مسعودا انه انتزع من السلاجقة خراسان وجميع الأقاليم الغربية التابعة للدولة الغزنوية . وقضت هذه زينة أهل جميع أمال مسعود بل وعليه نفسه إذ قتل بهد ذلك سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م .

الناس هذه الفرصة وتشفعوا للشاعر مسمود (١) ، فقبل شفاعتهم ووصله
بثلاثمائة دينار نقدا والى دينار يتقاضاها كل شهر (٢).

ويذكر المقرئى أن المعز لدين الله منع الناس في مصر سنة ثلاث وستين
وثلاثمائة من وقود النيران ليلة النوروز ومن صب الماء في يومه . والظاهر
أن هذا المنع ضاعف من شوق الناس إلى هذا العيث لأنهم في السنة التالية
تمادوا في إيقاد النيران وصب المياه وأتوا من السخافات ما جعل المعز يعود
إلى تحذيرهم واستعمال الشدة معهم (٣) .

وكان للنوروز عند العامة في مصر أمير يخرج في هذا اليوم في ملابس
المهرجين بألوانها الفاقمة المتناثرة وقد طلى وجهه بالمساحيق والاصباغ
وأحاط به جمع كبير من العوام . وكانوا يقطعون الطريق على المارة
ويأخذون منهم الهبات فمن دفع لهم أدخلوا سبيله ومن رفض ناله منهم ما يكره
من رش ملبسه بالماء القلتر ، وإقصاد ثيابه والاستخفاف بقدره . وكانت
الاسواق تعطل في هذا اليوم إذ كان الناس ينطلقون على سحبتهم دون
حياء أو قيود . وقلما انقضى هذا اليوم دون أن تقع حوادث يذهب
ضحيتها بعض الناس .

(١) هو الشاعر مسمود سعد (٤٤٠ - ٥١٥ هـ) من مشاهير شعراء القروس في العصر العزفي
غضب عليه وسجن أكثر من مرة . وفي سنة ٥٠٠ هـ أطلق سراحه من السجن للمرة الثانية بعد
أن قضى في السجن ثمان عشرة سنة . وقد أخطأ البيهقي حين قرن اسم السلطان مسمود بن محمود
العزفي باسم الشاعر مسمود سعد لأنه بينما توفي السلطان مسمود بن محمود العزفي سنة ٤٣٣ هـ .
وتوفى الشاعر مسمود سعد حوالي سنة ٤٤٠ هـ . هذا بالإضافة إلى أن البيهقي يتحدث عن حوادث
سنة ٤٣١ هـ أي قبل مولد الشاعر فكيف إذن يصفو السلطان مسمود في سنة ٤٣١ هـ عن شاعر
لم يكن قد ولد بعد ؟ إنما تتفق حياة اشاعر مسمود سعد مع حياة السلطان مسمود الثالث المعروف
بعلال الدولة والذي حكم من سنة ٤٩٢ - ١٠٩٩/٥٠٨ - ١١٠٤ م ، فهذا التاريخ يتفق
في فترة منه مع حياة الشاعر (٤٤٠ - ٥١٥ هـ) .

(٢) تاريخ بيهقي : ص ٦١١ ط غنى وقياض ، طهران . والترجمة العربية للخشب ونشأت
ص ٦٧٣

(٣) المقرئى ، الملط : ص ٢٦٧ ج ١ .

ويصف المقرئ ما كان يجري بمصر في هذه الاحتفالات خلال عيد النوروز فيذكر أنهم في سنة اثنتين وتسعين وخمسة استحدثوا عادة التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع إلى جانب ما عرف من التراس بالماء .

فلما آل أمر الدولة في مصر إلى الأمير برفوق (١) منع الناس من هذا العبث وهدد من خالف بالعقوبة فأضطر الناس إلى التزام الجادة في القاهرة ، ومن أراد منهم أن يعيث خرج إلى البرك والخزعات . ولم تعد الاسواق تعطل كما كان الأمر من قبل ، ولم تتوقف حركة البيع والشراء ، وأمن الناس على أنفسهم من الحوادث بعد أن كان يوم النوروز لا تخلو من قتل أو أكثر (٢) .

وفي إيران ظل الاحتفال بهذا العيد قائماً إلى أن شرع المغول يزحفون نحو إيران (١٢٢١/٨٦١٨م) وقد قضى هؤلاء المغول على كل مظهر من مظاهر الحضارة . وعندما جاء العهد الصفوي (٢) ، وأصبح التشيع مذهب الدولة الرسمي بدأت الاحتفالات بإحياء الأعياد الفارسية القديمة .

(١) مؤسس دولة المماليك البرجية أو الشراكسة (٧٨٤ - ٨٠١ / ١٢٨٢ - ١٢٩٩ م)

(٢) الخطط : ص ٢٦٨ ج ١

(٣) تنسب الدولة الصفوية إلى الشيخ صفى الدين أحد علماء أردبيل وأتقيائها . ومن سلالة الشيخ صفى الدين ظهر اسماعيل الأول الذي يعتبر المؤسس الأول للدولة . واستطاع أن يقضى حل أعدائه وييسر رقعة دولته حتى امتدت من نهر جيحون إلى الخليج الفارسي ومن أفغانستان حتى الفرات . واتخذ من تبريز عاصمة لدولته وجعل من التشيع مذهباً رسمياً طاً . وكان التنافس بينه وبين جيرانه الأتراك العثمانيين ، واختلاف المذهب الذي بينهما سبباً للصراع الذي دار بينهما والذي بانتصار السلطان سليم في موقعة جالديران . ولم تنقطع المناوشات بين الفريقين على الحدود التركية الإيرانية وظلت أقاليم جورجيا وأرمينيا تتنقل في أيدي المتنازعين . وبعد إنشاء عباس (٩٨٥ - ١٥٧٧ م) (١٠٣٨ - ١٦٢٩ م) أعظم ملوك هذه الدولة . ويمتاز عهده بالانتصارات الحربية على الأتراك وبازدهار الفنون والآداب وبزيادة المشروعات العامة وبالتسامح مع الأجانب . وبعد أن استرد شاه عباس من الأتراك الأراضي الإيرانية التي استولوا عليها فيما سبق انتار أصفهان خاصة ببلاده . ومات شاه عباس بعد أن حكم البلاد ٤٣ سنة ولم يستطع خلفاؤه أن يحفظوا المملكة التي خلفها لهم شاه عباس . وكانت نهاية الدولة الصفوية حل يد الأتراك الذين ثاروا عليها وأغلوا يستولون على المدن المهمة كتهران ، ومشهد حتى سقطت في أيديهم العاصمة أصفهان نفسها وقد حكمت الدولة الصفوية من ٩٠٧ - ١١٤٨ / ١٥٠٢ - ١٧٣٦ م .

وفي العدد الخامس من نشرة وزارة الخارجية الايرانية الصادر في
فروردين ١٣٣٦ مقال مفصل للسيد / حيد نيرنورى عن احتفال الدولة
الصفوية والقاجارية بعيد النوروز .

وكانت مراسم الاحتفال بالنوروز تبدأ في القصر الملكي قبل حلول
السنة الجديدة بضع ساعات . وقبل أن يبدأ الاحتفال يصل الملك إلى قصر
السلطنة بأصفهان . ويحضر قبله عدد من نائه المقربات غارقات في الحل
والجواهر . فاذا وصل الشاه كمن في استقباله وجلسن معه إلى المائدة الكبيرة
في قاعة الاحتفال . ولا توضع على المائدة أطعمة كثيرة . كل ما هناك
أقداح كبيرة ممت ماء ، وقدر من الفاكهة المختلفة والخضر والحلوى
المصنوعة من العسل (سوهان على) . ويقضى الشاه بين نائه وقتاً لطيفاً
في الحديث والضحك ثم يأمر فيدخل المطربون الخصوصيون وراقصات الحريم
إلى القاعة ويأخذن في الرقص على غناء المغنين .

وفي نفس هذا الوقت يكون كبير المنجمين في السلطنة مع عدد
من رجاله ينتظرون حلول السنة الجديدة في إحدى الحجرات بقناء القصر
وقد حملوا آلاتهم واستعدوا لتعيين لحظة بدء السنة الجديدة ، فاذا حلت
هذه اللحظة كلفوا بعض حجاب الملك أن يحملوا له البشري بحلول السنة
الجديدة ، وعند ذلك يعم الخبر القصر كله فنطلق الجوارى مزغردات
وترتفع إلى عنان السماء الألعاب النارية إعلاناً بحلول السنة الجديدة ،
وتنطلق المدافع المصوبة على اسوار مدينة اصفهان ، وتأخذ فرقة النقارة
في قرع طبولها في ميدان المدينة ، وترتفع من كل ناحية في المدينة الرغاريد
وتفوح في كل مكان رائحة البخور .

وفي اللحظة التي يعلن فيها بدء السنة الجديدة وتحول الشمس إلى برج
الحمل يركز الشاه نظره على قدح الماء الكبير الذي وضع أمامه . ويشعل
جميع الايرانيين هذا في نفس اللحظة لانهم يعتقدون أن النظر إلى الماء
لحظة بدء السنة يجلب السعادة وحسن الحظ في السنة الجديدة (١) .

(١) لا يزال الايرانيين إلى اليوم يتفاءنون إذا سكب الماء سفوا حل المائدة .

وكانت موائد العيد تمتد في جميع بيوت الايرانيين مثقلة بالوان الخضر والفاكهة وأصناف الحلوى المختلفة . وكانت هذه الالوان من الخضر والفاكهة والحلوى مما تبدأ أسماءها بحرف السين .

وبعد أن يدعو أفراد الأسرة الملكية ببعض الدعوات يشربون قليلا من ذلك الماء ويتناولون قليلا مما وضع على المائدة من الخضراوات والفواكه . ثم ترفع هذه المائدة لتمد بعدها مائدة أخرى حافلة بألوان الشراب وصنوف المأكولات الفاخرة . ويقوم المطربون والراقصات بدورهم في نشر البهجة والمرح في هذا المجلس .

وبعد أن تبدأ السنة ينتقل الملك من مجلسه هذا إلى القاعة الكبرى التي هيئت خاصة للتشريفات الخاصة بهذا العيد . ويؤذن لرجال الدولة عند ذلك في القدوم لتحية الملك ويبدأ الصدر الأعظم مع الأمراء والأهل المقربين للملك في الدخول وتقديم التحية . ثم يدخل رئيس الحرم الملكي (قورجى باشى) وكبير الياوران (ايشيك أغاسى) وسائر أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة للتشرف بتهنئة الملك . وفي تلك القاعة تمتد مائدة كبيرة يجلس عليها أولئك الذين يتألون شرف الحضور في هذا الوقت . وعلى رأس هذه المائدة يوضع الشراب والكباب أحيانا وفي بعض الأوقات يوضع الشربات . ويشرب الحاضرون نخب الملك . وبعد هذا يقدم رئيس الخزانة الملكية (صندوقدار باشى) إلى الملك صحنا عليه أكياس ملونه مقله ، ويرفع الملك من الصحن هذه الأكياس التي تحتوى على نقود فضية أو ذهبية سكت حديثاً ليقيمها بين الحاضرين . وعندما يتلقى الحاضرون هذه العيدية من الملك يُقبلونها ثم يدمونها في جيوبهم . وبعد تفريق هذه العيدية على الحاضرين تعرض على الملك في وجودهم الهدايا التي قدمت له في العيد من رئيس الوزراء (صدر أعظم) ومن العظام ومن جميع طبقات الناس . وهذه الهدايا تكون في الغالب من المال أو من الحيوان كالحليل . فاذا كان من بين هذه الهدايا جوار فلنهم يدخلونها من باب فيمرون في صف أمام الحاضرين ويخرجون من باب آخر من أبواب القاعة . والجوارى اللاتي يلقن بمقام

الملك يسلمن لكبير الخصيان (خواجه باشى) الذى يسير من إلى الحرم .
وأما غيرهم فكان الملك يهبهم لحضار مجلسه . وبعد أن ينتهى الحاضرون
من مشاهدة الهدايا تسلم إلى رئيس الخزانة للاحتفاظ بها . وعند ذلك يعلو
صوت الحاضرين بحمد الله الذى عمّت بركه ونعمته .

وفى نفس هذا الوقت يأمر الشاه بذبيح الماشية والأغنام فى الميدان
المواجه للقصر الملكى وتوزيع لحومها على الفقراء والمحتاجين .

وفى هذا اليوم كان الناس يرتدون ملابسهم الجديدة ويتراوون
فى الصباح ويخرجون للزهة فى المساء جماعات جماعات . ويعزف من يجيد
منهم العزف على آلات الموسيقى التى يحملونها معهم . وهكذا تتردد
فى جنبات الطرق فى ذلك اليوم الألحان الجميلة والأغاني العذبة وتبدوا
المدينة كلها فى مرح ومبهجة .

وفى اليوم التالى، إذا كان الجو مناسباً والهواء جميلاً ، يخرج الملك مع عدد
من نسائه إلى الصيد . وكان متصيد الملك يمتد امتداد واسعاً على أطراف
الغابات . وهناك يواصل احتفالاته بعيد النوروز .

ومن الهدايا التى تقدم للملك فى عيد النوروز تذكر الهدايا التى قدمها
خان شيروان وفق الرسوم التى كان يعمل بها فى البلاط . وكانت هداياه
فى احدى السنين قد فاقت ما جرت به العادة لأن خان شيروان كان
مغضوباً عليه من أخيه الشاه بتهمة الخيانة فأراد أن يمسّضيه بتلك الهدايا
وكانت الهدايا فى تلك السنة تتألف من خيل مطهمة، وابل محملة بأكياس الذهب
والفضة ، وعلاوة على هذا ضمت الهدية مجموعة من الغلمان والجواري
الكرجيات الجميلات اللآتى اشتراهن الخان (خان شيروان) بعد بحث
وتفتيح طويل فى مدينة شيروان . وقد خرجت قافلة الهدايا هذه من بوابة

المدينة مع التشریفات الزائدة وقام الخان بنفسه ، إعلانا لاحترامه وولائه
للشاه ، بمصاحبة القافلة مسافة طويلة خارج مدينة شيروان .

وكان من عادة «فتحعليشاه» (١) . أن يخرج من المدينة في عيد النوروز
ويخرج في ركابه الوزراء والاعيان والجنود . وكان مرادق الملك الذي
يوضع فيه عرشه يقام في متنوع من الأرض . وفيه تقدم اليه هدايا حكام البلاد
والولايات . وكانوا يمتصون أياها في قصف ولهو . ومن جملة مظاهر اللهو
والبهجة في تلك الأيام سباق الخيل . وكانت خيل الملك هي الفائزة
في هذا السباق بطبيعة الحال . وكثيراً ما كان يمتد الاحتفال بهذا العيد
أسبوعاً ولكن المهم هو اليوم الأول . وفي هذا اليوم الأول يلبس الناس
الملابس الجلدية ويتبادلون التهاني بالعيد ويتزاورون في البيوت حيث تقدم
لهم الحلوى التي صنعت خصيصاً لهذا العيد .

وكان الإيرانيون أيام الصفويين يعتبرون يوم «جهار شنبه سورى» من
أشد أيام السنة نحماً ولهذا فهم يحاولون في هذا اليوم الأيزاولوا عملاً من
الأعمال فهم يتلقون متاجرهم ولا يشغلون بقدر الامكان في أى شأن من

(١) ثانی ملوک الأسرة القاجارية تولى الملك سنة ١٢١١ / ١٧٩٧ م . وفى عهده ثارت
المنازعات والحروب بين الإيرانيين والروس مما فتح المجال لازدياد النفوذ الأوروب الأنجلیزی
والفرنسی فی ایران بضمی مساعدة الشاه فتحعليشاه ضد أعدائه الروس . وانتهى النزاع الإيراني
الروسى بمعاودة الصلح التى عقدت فی ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٨ م وعرفت باسم تركان چان .
وقد تخلل الإيرانيون بموجب هذه المعاهدة عن بعض أراضيهم كما دفعوا غرامة لروس قدرها
ثمانية ملايين روبل .

كذلك ثارت الحروب بين الإيرانيين والسانيين في أيام فتحعليشاه . وانتصر الإيرانيون
في وقائع عديدة إلى أن عقدت بين الطرفين معاهدة الصلح المروفة باسم معاهدة أرضروم في ١٩
من ذى القعدة سنة ١٢٢٨ / ١٨٢٢ م .

وكان ولي العهد عباس ميرزا هو الساعد الأيمن لأبيه في كل فتوحاته وقائد جيوشه في أغلب
وقائمه . وكانت وقائمه سنة ١٢٤٨ / ١٨٣٢ م صدمة كبرى حل أبيه فتحعليشاه حبلت بنهايته
فتوفى بعده بسنتين في ١٢٥٠ / ١٨٣٤ م .

شئون المال . وبعضهم يذهب إلى النهر فيحمل معه من مائه ليرش أثاث البيت ليعيش في أمان خلال السنة القادمة . وكانوا يترشون بالماء لأنهم يعتقدون أن الانسان إذا ابتل تماما في هذا اليوم عاش في سعادة بقية العام .

وفي أيام « محمد شاه » (١) ، كان الناس يفتدون إلى القصر للتحية والتهنئة بهذا العيد وكان الملك يأذن لهم إذنا عاما فيتدافعون ليشاهدوا الملك ، وكان القواد ورجال البلاط وحكام الولايات ، ليشتوا اخلاصهم للملك ، يقدمون له أنفس الهدايا مما يمتلكون من الخيل والشيلان الكشميرية والملابس الثينة وكل ما يلقى بمقام الملك . وفي هذا الاحتفال كان أقرب الناس إلى الملك الأمراء ثم كبار رجال المملكة ثم كبار الضباط ورجال البلاط . وموظفو الدولة والشعراء . وفي النهاية يأتي ممثلو العمال . ويمرر الملك على الناس متحليا بالجواهر الكريمة من الياقوت والماس واللؤلؤ وغيرها وتنحني الهامات بمجرد ظهور الملك وتنثني القامات للتحية أكثر من مرة ويتردد في القاعة تحية التامس : السلام عليكم ... السلام عليكم ... وفي كل هذه الاثناء يبقى الملك صامتا ساكنا ، فاذا انتهت مراسم التحية والتعظيمات تقدم الشعراء لانشاد الأشعار . وكان التامس يبالغون في مدح الملك ويستخدمون من الاستعارات والأوصاف ما يفوق التصور . وفي خلال هذا يضحون من حين الى حين : عاش الملك ... عاش الملك .

وبعد أن يفرغ الشعراء من مدائحهم يتقدم رئيس الوزراء (صدر أعظم) فيحدث الملك عن حالة البلاد في السنة التي انقضت حديثا قائما على المبالغة . وفي هذا الحديث يصور رئيس الوزراء للملك الحالة في البلاد بصورة لا يعترها عيب ولا بشوبها أي نقص . ويتلخص حديث رئيس الوزراء

(١) هو محمد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتحعليشاه . تولى الملك في ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م بعد وفاة جده فتحعليشاه اذ كان أبوه عباس ميرزا قد توفي قبل ذلك في حياة الجده كما مر فيما سبق . وعندما استتب له الأمر لقب « محمد شاه » . ومن أشهر الحوادث في عهده ظهور الباب سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م ، وانتشار البايية في المجتمع وقد اعدم الباب بعد ذلك في تبريز . وتوفي محمد شاه سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م .

في أنه لم يكن في الامكان أبدع مما كان . وفي نهاية الاحتفال ينثر الملك النقود على الموجودين وينعم على بعضهم انعامات مختلفة . وفي الليل تزدان الشوارع والبيوت بالمصابيح . ويتجمع المصارعون وأصحاب الألعاب المختلفة ليعرضوا ألعابهم في ميدان القصر . وكان الملك يطل عليهم من شرفته من حين إلى حين وينثر بين الناس مبالغ من المال .

وفي عهد ناصر الدين شاه القاجاري (١) ، زادت الاحتفالات بهذا العيد أهبة وعظمة فكانت تقام ثلاثة احتفالات : الأول يعرف باحتفال التحويل . والثاني يعرف بالاحتفال العام والثالث يسمى احتفال سردر .

احتفال التحويل (سلام تحويل): كانت الدعوات لحضور هذا الاحتفال يرسلها رئيس تشريفات البلاط إلى من لهم حق الحضور قبل الموعد بيوم واحد . وكان على المدعوين أن يحضروا قبل الموعد المحدد بساعة كاملة . وكان هذا الاحتفال يجري في القاعة الرسمية للاحتفالات (قاعة المتحف حاليا) . وكانت مائدة « هفت سين » الكبرى تمد في هذه القاعة . وكانت هذه المائدة من الطول بحيث تصل جانبي القاعة وتبلغ عرش الملك المرصع في صدر القاعة . وكان يشترك في احتفال التحويل هذا نخوص الدولة ورجال البلاط والأمراء والمستوفون ورؤساء القبائل القاجارية كما كان يشترك فيه أيضا علماء نهران الكبار . وكان يقف على أحد جانبي المائدة رؤساء الجيش في ملابسهم المحللة وعلى رأسهم نائب السلطنة .

(١) ناصر الدين شاه بن محمد شاه تولى الملك بعد أبيه في ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م في حوالى ثمانية عشرة . وطالت مدة حكمه حتى قاربت ثمانيا وأربعين سنة . وكان واسع العلم والثقافة وقد أجاد إلى جانب اللغة الفارسية اللغة العربية والفرنسية وزار أوروبا أكثر من مرة . وله مذكرات سجل فيها مشاهداته في تلك الزيارات . وقد ضي بارسال البعث العلمية إل فرنسا كما استقدم العلماء الفرنسيين لنشر الثقافة وترجمة روائع المؤلفات إلى اللغة الفارسية واصلاحاته الداخلية شملت كل ميدان كالتعليم بمختلف أنواعه ، والصمران بإنشاء الطرق وتيسير المواصلات وتنظيم شؤون انبرق والبريد ، وبدأ في تكوير أسطول بحرى وإنشاء مصانع الذخيرة . وقد قتل هذا الملك في أول مايو سنة ١٨٩٦ م .

وفي الجانب الآخر يصطف المستوفون في ملابسهم التي كانت تتكون عادة من الشال والعمامة والجبّة المقصبة والحذاء الطويل . وعلى رأسهم يتخذ مستوفى الممالك مكانه (١) .

وعلى طرفي العرش يصطف الأمراء القاجاريون وفي يد كل منهم نفائس الأسرة المالكة من سيف أو درع أو عمود رصع كل منها بأغلى الجواهر . وبالتقرب من عرش الطاووس رئيس الوزراء في جبهته وعصاه ويقف الوزراء والأعيان بعده . أما العلماء والروحانيون فيقف كل منهم على جانب العرش وفق مكانته . ويتخذ كبير المنجمين مع اسطرلابه وآلاته مكانا مواجهها للعرش . وبالتقرب منه يقف خطيب الممالك . فاذا بقى على موعد التحويل (بدء السنة) ربيع ساعة رفع الستارة الحاجب الموكل بها وأعلن في صوت جهورى قدوم الملك إلى القاعة . وعند ذلك يسود الصمت ويؤدى كل واحد من الحاضرين مراسم الاحترام ويتقدم الملك إلى العرش وهو غارق في الجواهر والأوسمة الملكية ثم يستقر على حافة العرش فوق وسادة نسجت من الذهب والؤلؤ . وعند ذلك مخاطب خطيب الممالك خطبة في نعت النبي عليه الصلاة والسلام وعلى رضى الله عنه . وفي نهاية السنة يعلن بصوت جهورى رئيس المنجمين الذى لم تفارق عينه عقارب الساعة تحول الشمس إلى برج الحمل . ويرتفع عند ذلك التفرع عالياً ويصل إلى أسماع رجال المدفعية الذين يطلقون مدافعهم ايدانا بالتحويل .

وعقب اعلان التحويل ينهى رجال الدين أولا الملك ناصر الدين شاه ثم يهنئه بقية الحاضرين . ويتلى بعض القرآن الكريم تيمنا وتبركا . ثم يشرب الملك ماء خلطوه من قبل بتراب قبر الحسين ويوزع على الحاضرين العيدية أكياما حمراء من النقود . وفي هذه الأتياس قطع قليلة من النقود انفضية والذهب تقدم لهم باعتبارها عيدية رمزية . وكان يبدأ بالعلماء في توزيع هذه العيدية . وإذا خرج العلماء والروحانيون أخذت الموسيقى في العزف (٢) .

(١) المستوفى في الوقت الحاضر أشبه بالمحافظ .

(٢) يتأخر عزف الموسيقى بعد خروج العلماء ورجال الدين توفيرا لهم .

وفي هذا الوقت يقدم الملك العيديدية لبقية الموجودين وكانت هذه العيديدية تختلف باختلاف مرتبة الحاضرين ويستمر هذا المجلس أربع ساعات ثم يتجه الملك بعد ذلك من قاعة العرش إلى الجزء الخاص من القصر في الداخل.

الاحتفال العام : وبعد يوم من اعلان التحويل يقام الاحتفال العام في عرش المرمر . وفي هذا اليوم بعد أن يعود الملك من الحرم يجلس في حجرة صغيرة بجانب القاعة الماسية . ويعلن رئيس التشريفات حضور المفراء الأجانب إلى القاعة للتشريف بمقابلة الملك . وعندما يدخل الملك يواجه الصغير العثماني ويسأله عن أحوال السلطان وعن حاله أيضا . ثم يجي السفراء واحدا واحدا ويقدم لهم العيديدية التي يتقبلونها بنهاية الأدب . وفي هذا اليوم من أيام الاحتفال كان الأمراء يحملون نفائس السلطنة . وكان مستوفى الممالك يقف على الجانب الأيسر من العرش ومن وزائه يصطف مائر المستوفين . وعلى عين العرش يقف نائب السلطنة ووزير الحرب وقادة الجيش بترتيب درجاتهم .

وعندما يستقر الجميع في أماكنهم يعلن كبير الياوران دخول الملك . ويدخل الملك من باب الديوان يحف به الجلال والعظمة ويجلس على الكرسي المرصع الذي وضع على سطح هذا التخت المرمرى . ويعلن كبير الياوران بداية الاحتفال فيعزف الموسيقى وتنتطق أصوات المدفع وطبول النقارة . وعندما تنتهي الموسيقى يتقدم شمس الشعراء لينشد قصيدة في الّهنة بالتوروز ومدح الملك ويعتبه خطيب الممالك بخطبة في هذه المعاني . وبعد ذلك تنتهي مراسم الاحتفال .

احتفال مرمر : والغرض من هذا الاحتفال هو الفرح والبهجة وكان يسمح للجمهور بحضور هذا الاحتفال الذي يقام في الميدان الذي يقع فيه باب «مرمر» الباب الرئيسي للقصر وفي هذا الاحتفال لا يحضر المستوفون ورجال الجيش . ويقتصر حضوره على الملك مع عدد من خواصه ونسائه . وفي هذا اليوم كانوا يحضرون مصارعي الكباش والمهرجين والمغنيين

وأصحاب القروء (القردياتية) ، ولاعي السرك (بندبان) الذين كانوا يعدون أنفسهم طوك العام ليعرضوا ألعابهم البهلوانية في هذا اليوم أمام الملك . وكانوا يتجمعون في الميدان المقابل لباب (سردر) ويعرضون ألعابهم ويتألون العطايا . ومن المهرجين الذين عرفوا في البلاط كرم شيره أى واسماعيل بزاز ، وكان هؤلاء المهرجون يضحكون الملك والناس . وبعد ذلك كانت تجرى مصارعة الكباش والديوك . وكان الناس يتراهنون على الفائز في هذه المباريات من الكباش والديوك كما يتراهنون اليوم في سباق الخيل . ويعرض لاعبو السرك ألعابهم الأكروباتية . ومن العادات الأخرى في هذا اليوم انتخاب مصارع الملك . وكانت المصارعات تجرى في حضرة الملك ويعطى الفائز شارة خاصة يضمها على عضده (بازوبند) (١) ، وحك البطولة (مهر بهلوانى) .

ولايزال أغلب هذه العادات مما يعمل به في الوقت الحاضر وإن كان قد نالها بعض التغيير الذى يتناسب مع تطور الزمن .

وفي الوقت الحاضر تعطل الدوائر الحكومية رسمياً خمسة أيام وإن كانت الاحتفالات الشعبية بهذا العيد تمتد إلى اليوم الثالث عشر . وفي اليوم الأول من شهر فروردين يحضر جميع الأمراء والوزراء والسفراء ورجال الدولة والدين ورؤساء النقابات والضباط الكبار منذ الثامنة صباحاً ليقدموا تهنئتهم للملك بالعيد السعيد في قاعة المتحف (تالار موزه) بقصر كلستان .

وفي وقتنا الحاضر يبدأ الاستعداد لعيد النوروز من ليلة الأربعاء السابق على العيد وتنتهى الاحتفالات في اليوم الثالث عشر .

وتبدأ هذه الاحتفالات في ليلة الأربعاء السابق على العيد باقامة وليمة تعرف عندهم باسم «جهار شنبه سورى» . وقد ترك الإيرانيون في الوقت الحاضر عادة رش الماء كما تركوا عادة ابقاد النيران ليلة النوروز

(١) يربط الملك على عقد المصارع الأيمن هذا العقيد من الذهب (بازوبند) مكافأة له .

اكفاء بإيقادها ليلة الاربعاء الأخير قبل العيد . ويفقر أهل البيت فوق هذه النيران وهم يهللون فرحين لاعتقادهم أن هذه النيران تزيل السم وتذهب العلل وتكسب البشرة اللون الأحمر وهم في خلال هذا يخاطبون النار ويطلبون منها أن تعطيهم حرمتها وتأخذ صفتهم .

ولا يزال أهالي بعض نواحي كردستان يتبعون إلى اليوم العادة القديمة بإشعال النار ليلة عيد النوروز .

وفي ليلة العيد يقف الناس على رأس الطرق ويتفاءلون بأول ما يسمعون من عابري الطريق . وللفتيات اهتمام شديد بهذه العادة ، عادة التسمع لمعرفة الفأل (فال كوش) . وطريقتهم في هذا أن يتخفن وراء باب المنزل عقب الغروب ويرهقن اصماعهن لما يقوله أول عابر في الطريق .

وتقوم الأسرة الايرانية بمجملته استعدادات لاستقبال عيد النوروز ، فهي أولاً تبدأ بتنظيف البيت والأثاث وتبيئته على أحسن وجه .

وتهم الأسرة الايرانية اهتماماً شديداً بصنع الحلوى لهذا العيد ، وتتفنن مجال الحلوى في صناعتها وعرضها . وتزدحم هذه المجال ازدحاماً شديداً كلما اقترب موعد النوروز . وتشتهر كل مدينة من مدن ايران بنوع معين من الحلوى . ومن أشهر المدن الايرانية التي عرفت بصناعة الحلوى مدينة يزد واصفهان وكرمانشاه . وحدثني صديقي الأستاذ محمد غفراني أنهم في مدن خراسان وقراها يصنعون في النوروز نوعاً من الحلوى يسمى «كلوجه نوروزي» وهو يشبه كعك عيد الفطر عند المصريين ويصنع من العجين والسكر ويسوى في الفرن .

وقبل حلول النوروز بخمسة عشر يوماً تهتم الأسرة بإذبات العدس أو القمح أو الشعير (١) وترش ربة البيت هذه الحبوب بالماء وتضعها

(١) راجع هذه العادة عند الايرانيين القدماء ص ٧ من البحث .

في صحن أو صينية وتعرضها لحرارة الشمس حتى تجف . وتحتل أوعية هذه النباتات مكانا هاما في مائدة « هفت سين » التي سيرد الحديث عنها .

وتكتمل بهجة هذا العيد بما يشتريه رب الأسرة لأفرادها من الملابس . ويتعلق الأطفال بهذه الملابس تعلقاً شديداً . وإذا لم تقدم لهم قفد العيد بهجته في نظرهم وأخذوا يرددون في مثل هذه الحالة :

عيد آمد وما قبسا نداريم

باكهته قبا صفا نداريم

أى أن العيد أقبل وليس لدينا ملابس جديدة فكيف نبتج بالعيد في هذا الرداء القديم . وكذلك ينال أفراد الأسرة عيديتهم في هذه المناسبة . وكانت هذه العيدية تقدم فيما مضى في صورة نقود من ذهب أو فضة سكت في نفس العام (١) ، واليوم تستخدم أوراق البنكنوت الجديدة التي يصدرها البنك في هذه المناسبة . وهناك بعض الناس يقدمون لأطفالهم بدل العيدية الهدايا واللعب والعرائس .

وقد جد بين الايرانيين في الوقت الحاضر عادة ارسال بطاقات التهئة ، وأخذ هذا التقليد ينتشر في جميع طبقات المجتمع الايراني .

أما مائدة «هفت سين» أو السينات السبعة التي أشرنا إليها فيما سبق فهي تقليد رئيسي من تقاليد هذا العيد . وتتضمن هذه المائدة ألوانا من الأطعمة تبدأ أسماء سبعة منها بحرف السين . ويوضع على المائدة عدد من الشموع بعدد أطفال الأسرة . ويجب أن تكون هذه الشموع مضيئة ساعة التحويل . ويجب عند حلول التحويل وبدء السنة الجديدة أن يفتح المجلس بتلاوة سبع من آي القرآن المجيد . ويستحسن بعض الناس أن يقبض في يده

(١) راجع ص ٥ من البحث .

ماعة التحويل على قدر من الأرز أو الشعير أو الذهب أو الفضة مردداً الدعاء المعروف « يامقلب القلوب والابصار ... »

ومما يراعى في مائدة « هفت سين » أن يكون فيها بعض أنواع الورد والبيض الملون . وتقوم الأم بسلق البيض وتلويته وتقدم منه بقدر عدد أولادها .

وعادة تلوين البيض في مائده « هفت سين » عادة قديمة معروفة عند الإيرانيين . وكان الناس أيام الأسرة الصفوية يتهدون البيض الملون . وكان الملك يبعث إلى حريمه هذا البيض . وكانوا يتخلون من قشرة البيضة ميدانا لفن النقش والزخرفة وصناعة المنمنمات . وقد عرف عن الإيرانيين منذ القدم أنهم كانوا يتهدون بالبيض لاعتمادهم أن البيضة منشأ كل الموجودات .

وعلاوة على البيض كانت هناك الحلوى على المائدة . وكان من عاداتهم أن يضعوا أثناء مملووا بالماء أسقطت فيه بعض أنواع التارنج الخضراء وبعض ماء الورد وسمكة حية أو ميتة . وكانوا يفعلون هذا على أمل أن تظل مائدة هذه الأسرة ممدودة طول العام عامرة بما لذ وطاب من أنواع الطعام . ومن صنوف الطعام التي انتقلت إلى الإيرانيين من الزمن القديم أن يكون على المائدة الحليب أو الجبن الطازج .

ومما تحفل به مائدتهم في الليلة الأولى للسنة الجديدة طبق الأرز بالشعرية . وفي الليلة الأولى والثانية يتخذ طبق الأرز المخلوط بالسلك والخضروات (سبزی پلو ماهی) مكانه على الموائد لأن السلك في عرفهم أصل من أصول الخير والبركة .

وفي الأيام الأولى من العيد يأكلون من اللحوم السمك ولحم الطير . ولا ينبغي أن ينطقوا بشيء المائدة بل يجب أن تظل الشمعات متقدة حتى تحترق عن آخرها .

ويعتقد بعض الايرانيين أنه إذا تصادف حلول يوم السبت في فترة عيد النوروز كانت السنة خيراً وبركة على الجميع . وإذا مر عام بخير على الايرانيين قالوا أن السبت وقع في أيام النوروز .

وفي نهاية التحويل تنطلق المدافع ويرف الراديو البشرى للجميع . ويتبادل أفراد الأسرة التهاني فيما بينهم ويقبل الكبار منهم الصغار الذين يتوددون في هذه اللحظة للكبار بتقبيل الأيدي تمهيداً لطلب العيدية . ومن عاداتهم في هذا المقام أن يذبيروا قدراً من تراب قبر الحسين في بعض الماء ويرشون منه رشقة تيمناً وبركاً . ثم توزع الحلوى على أفراد الأسرة ونعم الفرحة للجميع .

أما اليوم الثالث عشر من أيام العيد المعروف عندهم باسم (سيزده بدر) فيعتبرونه يوم نحس . والواجب في رأيهم أن يخرجوا في هذا اليوم إلى الصحارى وضياف الأنهار والمروج ليقضوا اليوم خارج البيت في لحو وجور . ومن الشرأن يلزم المرء بيته في هذا اليوم . وفي اعتقادهم أن كل طفل يولد في هذا اليوم يلازمه في حياته سوء الحظ وأن كل امرأة يعقد عقدها في هذا اليوم لا تسعد في حياتها الزوجية (١) .

ولا يبدى أهل السنة من الايرانيين في الوقت الحاضر اهتماماً بالغاً بعيد النوروز على عكس الشيعة الذين لا يكتفون باعتباره عيداً قومياً بل يحاولون أن يصبغوه بالصبغة الدينية ويروون احاديث في هذا الصدد عن جعفر بن محمد الصادق وغيره من أئمة الشيعة .

(١) ذكر ل الأستاذ محمد غفران أغنية شعبية ترددها الغنيات عندما ينهى اليوم الثالث من النوروز . تقول الأغنية :

سيزده بيدر جهارده بنسو هاكنه كتر هاكنه كبر
سال دكر خانه شوچه بنسل هاكنه كتر هاكنه كبر

ومعناها أن اليوم الثالث عشر قد انقضى وأقبل الرابع عشر وفي العام اتقدم أحتضن طفلي في بيت زوجي .

التوروز والتوقيت :

كانت المحاصيل تنضج في بلاد الفرس والتوروز ، ولهذا كان من عادة ملوكهم القدماء أن يجمعوا الحجاج في يوم التوروز . وكانت السنة عندهم ٣٦٥ يوماً . وكان كل شهر ثلاثين يوماً . وتبدأ شهورها بشهر فروردين وتنتهى بشهر سبندارمذ . وفي نهاية كل ٣٦٥ يوماً كانوا يضيفون خمسة أيام بسمونها الخمسة المترقة فيصبح بذلك عدد أيام السنة ٣٦٥ يوماً . هذا التوقيت يقل عن السنة الشمسية الواقعية بما يقرب من ست ساعات . وكانوا يعالجون هذا الأمر بكبس السنة شهراً كاملاً في كل مائة وعشرين سنة (١) . وكان من الممكن أن يضيفوا يوماً واحداً كل أربع سنوات كما يفعل الأوروبيون في تقويمهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأن إضافة يوم كل أربع سنوات يخل بترتيب أيام الشهر ومواقعها لأنهم - كما ذكرنا فيما سبق - لم يعرفوا تقسيم الشهر إلى أسابيع . ولهذا كانوا يسمون كل يوم من أيام الشهر باسم خاص لا يتكرر في الشهر الواحد . وتوجه الديانة الزردشتية اتباعها إلى الأعمال التي ينبغي أن يؤديها في كل يوم من هذه الأيام (٢) . فاذا أضيف يوم إلى السنة كل أربع سنوات

-
- (١) ست ساعات في كل سنة إذا ضربت في مائة وعشرين بلغت ثلاثين يوماً .
(٢) اليوم الأول من الشهر هو يوم «أهورامزدا» وأنسب ما يؤديه فيه المرء عبادة الخالق ودراسة الدين ومزاولة الأعمال التي لها صلة بالدين كالزواج ، ونقل الخير ، ومحسن في هذا اليوم الانتقال إلى المساكن الجديدة ، أو إنشاء البساتين ، والاستفال بالمناسبات السعيدة .
واليوم الثاني من الشهر وهو «بهمن» أنسب الأيام لبحث المسائل المهمة وعقد مجالس الملوك ومشاورة القواد والحكلاء .
واليوم الثالث من الشهر هو (اردى بهشت) وفيه ينبغي توثيق صلوات المردة مع الناس وعقد الصلح ، وتحضير الضاير وتناولها ، ومسالمة السادة والحكام والملوك .
واليوم الرابع (شهر يور) أنسب يوم عند الملوك إذا أرادوا تعيين كبار المرظفين والرؤساء والوزراء وغيرهم . وهذه التعيينات يصاحبها التوفيق إذا تمت في هذا اليوم . والاحسان إلى الناس واجب في هذا اليوم .
واليوم الخامس «سبندارمذ» تحسن فيه خطبة النساء والدخول بهن ، وسكنى المنازل الجديدة والقيام بالمشروعات الزراعية .

اثار امامهم مشاكل ، أين يضعونه في الشهر ؟ وبماذا يسمونه ؟ وأي عمل من الأعمال يحسن أن يؤديه فيه ؟ ولهذا كانوا يؤجلون الكبس حتى

واليوم السادس «خورداد» يناسب كل عمل من شأنه اصلاح الجسد أو تزيينه . ويحسن في هذا اليوم بناء المنارات أو حفر الآبار وقصيد الطرق ، وجمع المحصولات . وتظهر بركة هذا اليوم في كل عمل يراد به سعادة ذوى القربى .

اليوم السابع : «امرداد» وهو آخر أيام الأسبوع الأول . ويتخذ راحة البدن والروح .
اليوم الثامن : «ديادار» وفيه يجب على الناس أن يتقوهوا في شئون دينهم ، وأن يوزعوا الهبات .

اليوم التاسع : «آذر» وفيه يكون الاحسان إلى الضعفاء والسجزة وإيقام الصلاة ، وتقديم الهدايا لمعاينة اثار .

اليوم العاشر : «آبان» هو اليوم الرئيسى في الشهر لتقيام بالأعمال النافعة للزراعة .
اليوم الحادى عشر : «خور» وفيه ينبغي أن يؤدي كل أمر جيد .

اليوم الثاني عشر : «ماه» يوم الصلوات وترتيل الدعوات ، ويكره فيه الاشتغال بشئون الدنيا .

اليوم الثالث عشر : «تير» ويحسن فيه أن ينضم الانسان إلى أحد المعاهد ليتعلم فروع العلم المختلفة .

اليوم الرابع عشر : «كوش» آخر أيام الأسبوع الثاني من الشهر وفيه يستعرض الايراني ما عمله خلال الأسبوع ليعاين أن يكثر من الخير . وفي هذا اليوم يجب أن يريح الانسان المشية من العمل وألا يقرب لحما وإن جاز له أن يتنقع بلبسها .
اليوم الخامس عشر : «ديمهر» للاعمال المتصلة بشئون الدين .

اليوم السادس عشر : «مهر» وفيه يقوى الانسان أوامر الحجة مع غيره من الناس ، يرعى المذنبين ليسر لهم حياة كريمة في المستقبل ، ويفخر عن المجرمين ، ويشغل بأعمال الخير والبر .
اليوم السابع عشر : «سروش» ويتحتم على الزردشى في هذا اليوم أن يتطهر من الأثام ويبتعد عن الخلية . ونظافة البدن مستحبة في هذا اليوم .

اليوم الثامن عشر : «شن» يطلب فيه من الزردشى أن يتوخى الصدق والحق والعدل وأن يحسب الزيف في القول ، والكذب في الوعد ، والحذث في القسم .

اليوم التاسع عشر : «فروردين» وتطلب الناحية الدينية على الأعمال التي تؤدي فيه .
اليوم العشرون : «بهرام» ويحسنى هذا اليوم اقتال أو الصيد .

اليوم الحادى والعشرون : «رام» وهو يوم فرح وسرور وارتداء الجديد من الثياب .

يبلغ التكبيس شهراً كاملاً كل مائة وعشرين سنة ينطبق عليه كل ما ينطبق على بقية الأشهر من حيث أسماء أيامه وترتيبها والأعمال التي تزاوّل في كل يوم منها .

وظل القرمس القدماء يعملون بهذا النظام يكبسون كل مائة وعشرين سنة . وفي نهاية عهد الدولة الساسانية حل موعد الكبس أيام كسرى پرويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م) ولكنهم أهملوه لسبب غير مفهوم . ولم يتدارك من جاء بعد ذلك هذا الأهمال . وقضى على الدولة الساسانية وانتشر الإسلام ولم ينتبه أحد إلى تصحيح الوضع . وكان التوروز خلال هذه المدة يتقدم عن مواعده سنة بعد سنة حتى إذا جاءت خلافة المتوكل حل التوروز متقدماً عن مواعده فترة طويلة وكان الزرع لا يزال أخضر والنباتات لم تثمر . وأثار هذا مشكلة أمام الدولة العباسية تذكرها فيما بعد إذ كيف تجمع الدولة الخراج من الناس الذين لم يجنوا ثمراً ولم يجمعوا محصولاً بعد .

اليوم الثاني والعشرون : « ائنا » يخصص للراحة ، وصحة أهل الخير والتمنى ، والاعتناء

٠ م .

اليوم الثالث والعشرون : « ددين » من واجب الزردشتي في هذا اليوم نشر الدين بين الناس وتشجيعهم هل فعل الخير وتغييرهم من ارتكاب الشر .

اليوم الرابع والعشرون : « دين » مما يجعل بالمرء أن يفعله في هذا اليوم نشر الثقافة الدينية ، ويصلح فيه اعتناء معدات الزواج ، وخطبة النساء .

اليوم الخامس والعشرون : « أرد » هو يوم رعاية الفقراء .

اليوم السادس والعشرون : « استاذ » وفيه يثاب المحسن ويماقب المسوء . والاعتناء عن القتال والشجار . والبيع والشجارة مما تمنح به الزردشتية في هذا اليوم .

اليوم السابع والعشرون : « اسمان » يحسن فيه القيام بكافة الأعمال النافعة كالعبادة والتجارة

اليوم الثامن والعشرون : « زامباد » ويقضى فيه البلر والنرس والحرت .

اليوم التاسع والعشرون : « مهر سيند » ويصلح فيه السلم والتلاج وكل عمل يؤدي إلى صفاء الروح وسلامة الجسد .

اليوم الثلاثون : « افزان » هو آخر أيام الشهر وفيه يستعرض المرء أعماله خلال الشهر . ويبدأ الأرائق هذا اليوم باعطاء الفقراء وتقديم التوروز للالهة . وفيه يطهر الناس ويتجملون بغير ما لديهم من الثياب ، ويفعلون كل ما فيه متعة وسرور للبدن والروح .

وكان الفرس يقيمون للحصاد عيداً يوافق عندهم أول أيام منتهم الشمسية وهو يوم النوروز الذي كان يقع وقتذاك في الحادى والعشرين من شهر يونيو أى في بداية الصيف . ولكنه بعد ذلك قدم فجعل في الحادى والعشرين من شهر مارس أى في الاعتدال الربيعى عندما يتعادل الليل والنهار . وكان الموعد الجديد يحتفل به في بعض المناطق من الامبراطورية الفارسية بينما بقي الاحتفال باليوم القديم قائماً في مناطق أخرى . وكما كان يحتفل بكلا الموعدين كذلك كان يعد كل منهما موعداً مناسباً لدفع الخراج (١) .

وكان كثير من ملوك الفرس يرفقون بالزراع عند جمع الخراج إذا أصابهم خسارة في زرعهم أو ثمرهم . وكان قضاة المناطق يبلغون الحكومة المركزية عن الاراضى التى أصيب زرعها أو تلف ثمرها ، وتقوم الحكومة بإبلاغ المحصلين ليعفوا أصحابها من أداء المال المقرر (٢) .

وكان من عادة كثير من الملوك إذا ولوا الملك أن يعفوا رعاباهم مما يكون متأخراً عليهم من الأموال تأليفاً لقلوبهم ، كما كان بعضهم يخفف الخراج على الناس وخاصة في سنى القحط . وعندما طالت المجاعة على الناس في زمن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور أسقط الملك عن الناس خراج الأرض (٣) .

ولم يكن الخراج وحده هو الذى يؤدي في عيد النوروز فهناك الهدايا التى كانت تؤخذ من الناس جبراً (٤) .

(١) Legacy of Persia p. 69

(٢) كريستن : إيران في عهد السامانيين . الترجمة الفارسية لرشيد ياسمى ص ٢٥٨ والمريية للخشاب ص ٣٥٢

(٣) شاعنامه : ٨ - ٢٢٦٨

(٤) كريستن : الترجمة الفارسية ص ٧٦ والمريية ص ١١٣

وقد عرف عن السامانيين نظام التفتيش . وكان المفتشون ينتشرون في أنحاء المملكة ليتفقدوا حال الزرع فاذا وجدوا الماء قد شح في مكان أو الزرع قد جف أعفوا الزراع من الحراج وقدموا اليهم المساعدات اللازمة (١) .

وفي العهود الاسلامية كان العمل في الدواوين يسير وفق الأنظمة التي نقلها العرب عن الفرس . وكان الطابع الفارسي غالباً على الشئون المالية في المجتمع الاسلامي ، فكانت النقود الفارسية هي المتداولة حتى أيام عبد الملك بن مروان الذي غيرها بدنانير اسلامية . وبدأ عبد الملك بضرب لدراهم ستة وست وسبعين ثم أمر بعد ذلك بضرب الدنانير (٢) .

وعندما دون عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدواوين احتذى حذو الفرس بناء على نصيحة بعض مرآزية الفرس له (٣) . وظلت الفارسية لغة الدواوين في المشرق حتى عربت في أيام الحجاج . والذي نقل الديوان من الفارسية إلى العربية صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم ، وقد تتلمذ صالح في الديوان على امثاده الفارسي زادا نفروخ . وعندما تراسى إلى الفرس خبر نقل الديوان إلى العربية سعوا إلى صالح وأغروه بمائة ألف درهم ليتظاهر بالعجز عن نقله إلى العربية وينصرف عن هذا العمل ، ولكنه لم يضعف أمام إغرائهم وقام بنقله فعلاً (٤) .

وإذا كانت لغة الديوان قد نقلت إلى العربية فان أسلوب العمل فيه استمر فارسيًا وبقيت في اللغة إلى فترة طويلة تلك الاصطلاحات الفارسية دليلاً على هذا (٥) .

(١) شاعانه : ٧ - ١٩٨٧

(٢) الأخبار الطوال : ٢٠٦

(٣) ابن طباطبا : الفخرى : ٧٥ ط المعارف .

(٤) ابن النديم : الفهرست ٣٣٨ ط مصر .

(٥) من هذه الاصطلاحات مثلا كلمة ديوان بمعنى شياطين أو مجازين جمع ديور . وفي سبب هذه التسمية يقال أن أسد ملوك الفرس دخل حل موظفي الحسابات فوجدهم يبركون شقاهم

وظل العمل بموعد جمع الحراج في العهود الاسلامية كما كان في عهد
الفرس أي في أيام النوروز إلا أن المسلمين أهلوا الكبس الذي كان يعمل
به الفرس . والحقيقة ان هذا الاهمال بدأ من الفرس أنفسهم في أواخر عهد
الدولة الساسانية أيام كسرى برويز كما أشرنا من قبل ثم انقضت أيام
الساسانيين وأتى العهد الاسلامي دون أن يهتم أحد بتدارك هذا الاهمال
الذي وقع منذ أيام كسرى برويز مما أدى إلى تقدم النوروز عن مواعده
فترة طويلة . وعندما استأذن عبيد الله بن يحيى الخليفة المتوكل في فتح
الحراج كان الزرع لا يزال أخضر ولا يصلح للحصاد ومن ثم فإن الزراع
لا يستطيعون أن يدفخوا الحراج . وكثرت شكاياتهم من فتح الحراج في غير
موسم الحصاد فاضطر الخليفة المتوكل إلى أن يتقصى الأمر فأحضر
الموید وسأله عن مر اختلال الأمر عما كان عليه أيام الفرس وطلب منه أن
يشرح له كيف كان الفرس يفتحون الحراج على الرعية في مثل هذا
الوقت الذي لم تنضج فيه المحاصيل ، فأخذ الموید يشرح له الأمر ويبين
الأسباب التي أدت إلى اختلال موعد الحصاد زمن المتوكل وينبهه إلى
ما كانت الفرس تفعله من الكبس ، وكيف كان يتم هذا الكبس ثم ماجرى
بعد ذلك من تعطيل الكبس في الاسلام حتى أضر تعطيله بمصالح الناس
مما دعا الدهاقين إلى أن يجتمعوا عند خالد القسري على عهد هشام بن
عبد الملك ويطلبوا منه أن يؤخر النوروز شهراً فأبى ورفع الأمر بعد ذلك
إلى هشام الذي أبى بدوره أن يجيبهم إلى طلبهم خوفاً من أن يكون هذا

عند اجراء السليات الحسائية فأطلق عليهم هذا اللفظ (ديوان) ثم أطلق بعد ذلك كل مكان اجتماع
الموظفين .

وسمياً أيضاً كلمة طروج معرب تسر وهو ربيع الهائق والطروج أيضاً التاحية معرب تاسو .
وسمياً كلمة سفتجة بفتح السين وضمها وهي الحوالة المائية ، وكلمة دائق معرب دانك وهو
ربيع الدرهم ، كلمة كسبرود من كانت ويزود بمعنى النقص والزيادة .

التأخير مما ينطبق عليه قوله تعالى «أما النسى» زيادة في الكفرة (١) وعاد الدهاقين يكررون مسامحهم زمن الرشيد وطلبوا من يحيى بن خالد بن برمك أن يؤخر النوروز شهرين حتى يعود الأمر كما كان أيام الفرس . وهم

(١) لم يكن مفهوم النسى عند جميع العرب واحداً . وكان مفهومه عند بعضهم التأخير والتأجيل فإذا أقبل شهر المحرم ولم ينتهوا بعد من إغاراتهم ولم يفرغوا من تاراتهم أجلوه إلى صفر لحمة القتال في المحرم ، فإن لم يتحقق لهم ما أرادوا أجلوا المحرم مرة ثانية أو ثالثة وهكذا حتى كانت السنة تصل عند بعضهم إلى ثلاثة أو أربعة عشر شهراً .

وكان مفهوم النسى عند البعض الآخر ما نسميه الكيس وهو إضافة الفرق بين السنة الشمسية والقمرية لتصبح القمرية موازية للشمسية فنثبت بذلك مواقع الشهور القمرية فلا تتغير من سنة إلى سنة بحيث تقع مرة في الصيف ومرة في الشتاء . ويؤيد هذا ما يلاحظ في أسماء الشهور العربية واشتقاقها من الظواهر الجوية الطبيعية الخالدة فيها ، فالربيع مثلا سمي بهذا الاسم لخصوبة الأرض فيه في فترة معينة من السنة ، والجماديان إنما سُميا بذلك لجمود الماء في فترتهما ، وسمى رمضان مثلا بهذا الاسم لوقوعه في فترة الرضاه واشتداد الحرارة ، وسمى شوال شوالاً لأن الحرارة تخف فيه وهكذا . ويفهم من هذا أن الشهور القمرية كانت حل هذا الاعتبار ثابتة في مواجيد لا تتغير . ومرد هذا الثبوت إلى تلك الإضافة التي كانوا يضيفونها وهي المعروفة بمسألة الكيس ومن كانوا يقومون بمسألة النسى حل هذا النحر قروم من بني كنانة يعرفون بانقلاسة أوترا حفظاً من الظلم في شؤون التوقيت .

وقد أبطل الإسلام هذا النسى بمختلف مناهجه في السنة التاسعة للهجرة وجعل عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً منها أربعة حرم (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك للذين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وتقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واحلموا أن الله مع المتقين أما النسى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) ، وعند ذلك أبطل المسلمون كل ما حرموه من قبل من أنواع النسى سواء كانت تأخيراً للأشهر لتحليل ما حرم منها وتحريم ما حلل أو كانت كيباً وإضافة لتثبيت الأشهر القمرية في مواجيد محددة لا تتجاوزها مع دوران السنين وماد المسلمون بذلك إلى تقويمهم القمري المعروف بينهم الآن (يسألونك عن الأهلة قل هي ، واتيئت للناس والمج) وصارت العبادات كالحج والصيام تؤدي كما ترى الآن ، في أشهر بعينها من كل عام إلا أن هذه الأشهر لم تعد ثابتة في وقت بعينه من السنة فأحياناً تقع في الصيف ثم تعود مع الزمان حتى تقع بعد وقت في الشتاء . ولكن لماذا نضل الإسلام أن يأخذ المسلمون بتقويمهم القمري المعروف ؟ واضح أن أسلوب العرب في موضوع التقويم لم يكن موحداً يدلل الخلاف الذي أشرنا إليه في مفهوم النسى عندهم . ومن أمثلة هذا الخلاف أيضاً أن مضر كانت تعظم شهر رجب بينما كانت ربيعة تعظم مكانه شهر رمضان ، وكان في العرب من يحلون رجباً ويمرمون =

يجب أن يجيبهم إلى طلبهم ولكنه عدل بعد ذلك عندما بلغه أن اعداءه يتهامون بحيلة للمجوسية ويتهمونهم بالتعصب لها . وظل أمر الكعبس مهما حتى جاء المتوكل الذي اقتنع بفكرة الكعبس بعد أن شرحها له الموبد . وكلف ابراهيم بن العباس الصول أن يراجع الأمر مع الموبد وأن يجعل للنوروز موعداً ثابتاً لا يتغير فوق موعده الجديد في السابع عشر من حزيران (يونيو) وأمر بتوجيه الكعب إلى الآفاق ليعملوا بهذا الموعد الجديد ويفتحوا الخراج فيه . وكان ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وقد قوبل قرار المتوكل بالترحيب والاستحسان لأنه أختار جمع الخراج من الناس حتى ينضج المحصول ، ووفر لهم أيضاً هذا التأخير ما يقرب من خمس الخراج المطلوب . وفي قصيدة البحري التي يمدح فيها المتوكل ومطلعها :

لك في المجد أول وأخير ومماع صغيرهن كبير

يقول مشيراً إلى التعديل الذي أدخله المتوكل على النوروز :

إن هذا النوروز عاد إلى العهد الذي كان سنه أردشير
أنت حوته إلى الحالة الأولى وقد كان حائراً يستدير
وافتمتحت الخراج فيه فللأمة في ذلك مرفق مذكور
منهم الحمد والثناء ومنك العدل فيهم والنائل المشكور

غير أن المتوكل قتل بعد ذلك ولم يتم الأمر على ما أراد . فلما جاء الخليفة المعتضد بحث الأمر من جديد وأجرى بعض التعديلات حتى استقر الرأي على أن يكون موعد النوروز في الحادي عشر من حزيران .

== شعبان ، ومنهم من كان يخلط بين المحرم وصفر يحمل أحدهما مكان الآخر على العوام ، ومنهم من كان يتركهما في موقعهما الصحيح سنة ثم يغير موقعهما سنة أخرى ، ومنهم من كان يبدلها كل سنتين وهكذا . وكان من العرب من لم يعترف بحجامة الأشهر الحرم ولا بمنه حلوطا عن الإغارة والمقاتلة . وهكذا نرى أن الأمر بينهم كان فوضي لا وحدة فيه ولا نظام يسود بين الجميع حل السواء .

ولما كان انتظام أمر الأمة لا يتم ما لم ينتظم توقيتها رأى الاسلام أن يلغى كل ما كان بينهم من خلاف وأن يجمعهم على نظام موحد في التوقيت فتوحد بذلك أمور دينهم ودنياهم .

وكانت أهم التعديلات التي أدخلت أنهم أضافوا يوما إلى الخمسة المترقة كل أربع سنوات على النحو الذي يجرى العمل به في التقويم الأوربي . وعرف النوروز الجديد في العالم الإسلامي بالنوروز المعتضدى نسبة إلى الخليفة المعتضد . وجرى العمل بهذا التقويم المعتضدى في الدواوين في جميع الشئون المالية والزراعية . وتلقى الناس النوروز المعتضدى بالفرحة والابتهاج . وأكثر الشعراء من القول فيه . ومن ذلك قول يحيى بن علي المنجم :

يا يحيى الشرف الباب	ومجدد الملك الحراب
ومعيد ركن الدين فينا	ثابتا بعد اضطراب
فت الملوك مبرزا	فوت المبرز في الحلاب
اصعد بنوروز جمعت	الشكر فيه إلى الثواب
قدمت في تأخير ما	قد قدموه إلى الصواب

وقوله :

يوم نيروزك بموم	واحد لا يتأخر
من حـزيران يوافي	أبدا في أحد عشر (١)

ومع أن النوروز المعتضدى ثبت في موعد محدد من كل سنة يناسب جمع الحجاج إلا أنه لم يسلم من العيوب . لهذا ألفت السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ٤٧٦ هـ لجنة من العلماء لاصلاح هذه العيوب . وكان من بين أعضاء تلك اللجنة الفلكي المشهور عمر الخيام . وانتهت هذه اللجنة إلى تعيين رأس السنة الشمسية «النوروز» في أول نقطة من دخول الشمس برج الحمل بعد أن كان يقع عند توسط الشمس برج الحوت (٢) . ولا يزال إلى اليوم

(١) المسعودي : مروج الذهب ٤ - ٢٧١ ط ثلاثة السادة بمصر .

(٢) جلال الدين أير اللغج ملكشاه من سلاطين السلاجقة النظام ٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ -

١٠٩٢ م .

(٣) ابن الأثير : سوادث سنة ٤٦٧

في نفس الموعد عند الإبرانيين . ويعترف العلماء الأوروبيون أنفسهم بأن هذا التقويم الذي توصل إليه العلماء في عهد السلطان ملكشاه يفوق في دقته التقويم الجريجوري . ويسمى هذا التقويم بالتقويم الجلالى نسبة إلى السلطان جلال الدين ملكشاه كما سمي يوم النوروز فيه بالنوروز السلطاني نسبة إليه كذلك .

النوروز في مصر :

والنوروز عند الأقباط في مصر يقع في أول يوم من توت ، وهو بداية السنة القبطية . وفي هذا اليوم يبلغ فيضان النيل ذروته ، ولهذا اتخلوه مبدأ لستهم .

وبين الفرس والقبط شبه كبير فيما يتصل بتوقيتهم ونوروزهم . وعدة الشهور في السنة القبطية اثنا عشر شهراً كل شهر منها ثلاثون يوماً ثم يضيفون بعد ذلك خمسة أيام يسمون كل واحد منها باسم أحد آلهتهم . وكانوا يجعلون هذه الأيام أعياداً تعرف عندهم بأعياد موالد الآلهة الكبرى .

وكانت السنة القبطية تنقسم إلى ثلاثة فصول تدور كلها مع مواسم الزراعة ، وهي فصل الفيضان أو الغمر ، وفصل البذر ، وفصل الحصاد . ولم يكن عند قدماء المصريين في أول الأمر أسماء للشهور فكانوا يقولون مثلاً الشهر الرابع من الفصل الثالث ثم سموا شهورهم بعد ذلك بأسماء آلهتهم . وكانت السنة تبدأ عند قدماء المصريين بوصول مياه الفيضان الحمراء إلى مدينة منف أي في حوالي ١٩ يوليو ولكنهم عدلوا بعد ذلك وجعلوا بدايتها عندما تبلغ مياه الفيضان ذروة ارتفاعها في ١١ سبتمبر وهو أول توت ، عيد النوروز عندهم .

وتنفق الأشهر القبطية كذلك مع الأشهر الفارسية في تسمية كل يوم منها باسم خاص إذ كان المصريون القدماء ، كالفرس ، لم يعرفوا بعد تقسيم الشهر إلى أسابيع .

وخطبة العيد التي كانت تلقى بين يدي ملوك مصر القدماء صبيحة يوم عيد النوروز والتي اثبتها أحمد بن أياس في تاريخه (١) ، نراها بنصها تقريباً في صبح الأعشى للقلقشندي الذي يوردها في كتابه نقلاً عن ابن المقفع الذي حكى أنها تلقى بين ملوك الفرس . يقول القلقشندي : «وحكى ابن المقفع أنه كان من عاداتهم (أي ملوك الفرس) فيه (أي يوم النوروز) أن يأتي الملك رجل من الليل قد أُرصد لما يفعله مليح الوجه فيقف على الباب حتى يصبح فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ويقف حيث يراه فيقول له من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأين تريد ؟ وما اسمك ؟ ولأى شيء وردت ؟ وما معك ؟ فيقول : أنا المنصور ، واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت ، والمملك السعيد أردت ، وبالهناء والسلامة وردت ، ومعى السنة الجديدة ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وفيه حنطة وشعير وجلبان وحمص وسمسم وأرز : من كل واحد سبع سنبلات وسبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدان فيضع الطبق بين يدي الملك ثم تلخل عليه الهدايا . ويكون أول من يدخل عليه بها وزيره ، ثم صاحب الخراج ، ثم صاحب المعونة ، ثم الناس على طبقاتهم ، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب في سلة فيأكل منه ويطعم من حضر ثم يقول هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد يحتاج أن يحدد فيه ما أنخلق من الزمان . واحق الناس بالفضل والاحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفرق عليهم ما وصل اليه من الهدايا (٢) ، وهذا النص يكاد

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور : ج ١ ص ١٩

(٢) صبح الأعشى : ج ٢ ص ٤٠٨ ط الأميرية .

يتطابق تماما مع النص الذي ذكره ابن أبياس ، وهذا التطابق التام بين النصين إن دل على شبه وتمائل شديد في التقاليد التي كانت تتبع عند ملوك الفرس والمصريين القدماء صبيحة يوم النوروز إلا أنه يثير الشبهة ويدعو إلى الشك في خلط ابن أبياس لأن اتحاد العبارات والجمل والأفكار في الخطبتين إلى هذا الحد ليس مما يقبل بسهولة مهما يبلغ التأثير المتبادل بين المصريين القدماء والفرس .

ويرجع بعض الكتاب أن التوقيت الفارسي تأثر بما وجدته الفرس عند المصريين القدماء . وقد غزا الفرس مصر أكثر من مرة ، وطردوا منها أكثر من مرة (١) ، وكان الملك الفارسي «دارا الأول» يحترم ديانة المصريين وقد عبر عن احترامه لدينهم بالميكال العظيم الذي أقامه لعبودهم آمون بواحة سيوة ، كما كان يشجع التجارة والاتصال بين الشعبين . وقد تردد كثير من الكهنة المصريين إلى ابران كما تردد رجال الدين الزردشتيون إلى مصر ، ومنها اقتبسوا نظام التوقيت (٢) .

(١) استولى الفرس في عهد قمبيز على مصر سنة ٥٢٥ ق. م. وطردوا منها المصريون سنة ٤٨٦ ق. م. وشجعهم على ذلك انهزام دارا أمام الأخمين في واقعة ماراتون .

ثم عاد الفرس مرة أخرى إلى مصر في عهد أجورزميس بن دارا وطردوا منها سنة ٤٠٥ ق. م. ويعرف عهد حكم الفرس هؤلاء في تاريخ مصر بالأسرة السابعة والعشرين .

وعاد الفرس إلى مصر مرة ثالثة سنة ٣٤٠ ق. م. بعد أن غابوا عنها خمسة وستين عاماً ويعودتهم في هذه المرة ينتهي عهد الفراعنة في تاريخ مصر بعد أن حكموا وادي النيل قرابة أربعة آلاف عام .

وظل حكم الفرس في مصر إلى أن قضى عليه الاسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق. م. وهذا خضعت البلاد لحكم الأخمين ثم الرومان . وبعد ذلك جاء العهد الاسلامي .

(٢) مجلة يادكار العدد السابع من السنة الرابعة مقالة تقى زاده .